

تساؤلات حول المشروع التغييري

للأستاذ حيدر حب الله

الشيخ محمد موسى حيدر

أنفلوَنزا التغيير

تساؤلات وملاحظات حول المشروع التغييري

للأستاذ حيدر حب الله

أنفلونزا التغيير

تساؤلات وملاحظات حول المشروع التغييري للأستاذ حيدر حب الله

الشيخ محمد موسى حيدر

يجب علينا عدم فسح المجال أمام الأعداء لنفث سمومهم الفكرية ومحاولة الإطاحة الصامتة وهذه قضية لا علاقة لها بضرورة وجود الحرية وحرية التفكير

من خطاب للسيد الخامنئي حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

مقترح لمشروع تغييري في سياق حركة إصلاحية تبدأ من الساحة الشيعية، وتطمح لدائرة أوسع، طالعنا به الأستاذ حيدر حب الله في مقدِّمة العدد الرابع من المجلة التي يرأس تحريرها (نصوص معاصرة)، بعنوان (ورقة عمل) وصدَّره بقوله: **«مقتَرحٌ جاد تستدعيه ـ في نظر الكاتب على الأقل ـ حاجة ملحة وضرورية، وسأحاول أن أوجز النقاط وأكثِّف النص، ليكون مادة للتدارس فيما آملُهُ، وورقة أولية يمكن أن تتلوها أوراق، وإنني أدعو ـ سلفاً ـ كل العلماء والباحثين والناقدين للتعليق على هذه الورقة بمختلف أشكاله، ضمن حدود البحث العلمي والأخلاقي وضوابطه»**.

ثم قال: **«إذا كانت الورقة توحي أنها خاصة بالمشهد الشيعي، فهي لا تريد هذه الخصوصية، وإنما تطمح لدائرة أوسع»**، وقال: **«دعوتنا هنا هي: أين أنتم أيها الناقدون لمحيطكم؟ أين حضوركم؟ إلى متى سنبقى في ظل حركات نقدية نخبوية ممزقة**

لا تستطيع التأثير في المجتمع؟ لماذا هذا الغياب الاجتماعي أو بتعبير أدق: الموت الاجتماعي، إن دعوتنا تقوم على تلاقي، دعونا نتلاقى في مؤتمر، في لقاء، في تجمّع، علني أو غير علني، كيفما شئتم، وضمن أيّ صيغة ارتأيتم، نعصف أفكارنا للوصول إلى تكوين خطاب هادر، قادر على أن يثبت ذاته، ويتحوّل بالفعل إلى تيار ثالث، لا تحكمه عقلية حزبية أو أفق ضيّق، بل تهيمن عليه هموم العصر وحاجات النهوض».

وبما أن هذه الورقة جاءت استكمالاً لخطوة تأسيس مجلة (نصوص معاصرة) التي كانت أولى خطوات الكاتب في سبيل تحقيق مشروعه الإصلاحي العام، كما بيَّن في مقالة له في مقدمة العدد الأول من نفس المجلة تحت عنوان (لماذا نصوص معاصرة؟) حيث قال: **«نتصوّر أن نقل المشهد الثقافي الإيراني بأجزائه بات حاجة ماسّة، لكل من يريد دراسة هذه التجربة والاستفادة مما فيها من عناصر الضعف والقوّة، ولذلك نحن عازمون هنا على نقل هذا المشهد بالمقدار المتوفّر لنا، مما نقدر عليه، أو نستطيعه .. وتتعهّد المجلّة نقل المشهد إلى العالم العربي خدمةً ـ قبل كل شيء ـ للأمّة كلِّها، وأملاً في أن تساعد هذه الخطوة على توحيد صفوف الأمّة، ومعرفة بعضها بعضاً .. وفي تذويب الفتن الطائفية والأحقاد المذهبية التي تأكلهم»** .. لذلك فإنه من غير الصحيح مناقشة هذه الورقة من دون النظر إلى ما أورده الكاتب في مقالته تلك، لما في ذلك من

اجتزاء لها من سياقها الذي وقعت فيه.

ولذا فإنا سنعتبر مقالتَي الكاتب هاتين تمثلان حلقتي النظرية والبرنامج العملي التطبيقي لمشروع واحد بدأت أولى خطواته العملية تأخذ مسارها خارجاً من خلال تأسيس مجلة (نصوص معاصرة)، وهذا المشروع هو (مشروع التغيير الإصلاحي في المذهب الشيعي).

ونحن تحقيقاً لأمل الكاتب في أن يكون ما كتَبَه مادة للتدارس، واستجابة لدعوته العلماءَ والباحثين والناقدين للتعليق عليه بمختلف أشكاله سنقوم بإبداء بعض التساؤلات، وتسجيل بعض الملاحظات على جملة من الأمور التي أوردها في مقالتيه هاتين، والتي اكتنفها الكثير من الغموض والإبهام، بحيث إنها تتنافى ـ لا أقل بنظرنا ـ مع روح الوضوح والشفافية التي يرى الكاتب ـ ونحن معه ـ (أنها من العناصر اللازمة في الفكر والمشاريع الفكرية المعاصرة)، تاركين للقارئ الكريم حق الحكم علينا بما إذا كنا قد تقيَّدنا بحدود وضوابط البحث العلمي الأخلاقي في عملنا هذا أم لا؟

هذا، وقد تحتم بنظرنا نقل تمام كلام الأستاذ حب الله الوارد ضمن مقالتيه المشار إليهما آنفاً حرصاً منا على تمكين القارئ الكريم من متابعتنا فيما علقناه على كلامه، وتفويتاً لفرصة من يحلو له الاصطياد في الماء العكر حذراً من أن يدعي أننا عمدنا إلى اجتزاء الكلام أو تقطيع فقراته، وقبل الخوض في المهم من مناقشة بعض ما ورد في تينك المقالتين نذكر مقدمة نبين فيها الوجه في وجوب التصدي للمقالات الفاسدة والآراء المبتدعة، فنقول وعليه التكلان.

فقد الغيرة الدينية

لعلنا لا نجد عند الشرع والعقل والعقلاء صفة يمكن أن يتصف بها الإنسان أقبح من أن يفقد الغيرة على عرضه، فإن الغيرة على العرض قبل أن تكون فضيلة من الفضائل الإنسانية المحمودة عقلاً وشرعاً، هي غريزة جبلت عليها حتى الحيوانات.

فنحن إذا استثنينا الخنزير ـ المعروف بالدِّياثة ـ من بين الحيوانات، لا نكاد نجد حيواناً لا توجد فيه صفة الغيرة، بل هي موجودة في بعض الحيوانات بمرتبة أقوى وأشد من وجودها في بعض أفراد البشر، كما في الديك مثلاً، ولذلك ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام قوله: «**تعلَّموا من الديك خمس خصال: محافظته على أوقات الصلوات، والغيرة، والسخاء، والشجاعة، وكثرة الطروقة**»[1]، بل يُحكى عن بعض الحيوانات قصصاً في الغيرة تحار لها العقول[2].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٤٨٢، ح١٣٩٣.

(٢) الصدوق تَدُّسُ في علل الشرائع ج١ ص١٧ بإسناده عن زرارة بن أعين قال: سُئل أبو عبد الله عليه السلام: كيف بدأ النسل من ذرية آدم عليه السلام؟ فإن عندنا أناسا يقولون: إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه، وأن هذه الخلق كلهم أصله من الإخوة والأخوات، فَقال أبو عبد الله عليه السلام: «سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيرا، يقول من يقول هذا: إن الله عز وجل جعل أصل صفوة خلقه وأحبائه وأنبيائه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر الطيب؟! والله لقد تَبَيَّنت أن بعض البهائم تنكَّرت له أخته فلما نزا عليها ونزل كُشف له عنها وعلم أنها أخته أخرج

وعليه، فالذي يميّز الإنسان عن الحيوان ليس مجرد صفة الغيرة على العرض بل شيء آخر هو أسمى وأرفع من ذلك ألا وهو الغيرة على المبدأ والدين، الذي هو السبب والمنشأ للغيرة على العرض، بل ولكل الفضائل الإنسانية الأخرى.

إذ المفروض أن الدين بالنسبة إلى كل من يعتقد به أهم من المال والنفس والعرض، ولذلك نجد أن الإنسان يضحي بماله لحفظ نفسه، وبماله ونفسه لحفظ عرضه، وبماله ونفسه وعرضه لحفظ دينه، ولا أقل من أن حق الدين واللائق بشأنه هو ذلك، وإن لم يلتزم به الأكثر في مقام العمل كسائر الواجبات العقلية والشرعية التي تحكم بها عقولهم ويتساهلون في مقام العمل بها لمتابعة أهوائهم، أو لضعف إيمانهم وهمتهم.

ويكفينا دليلاً في هذا المقام ما فعله أبو الغيرة ومعلّمها، سيدُ الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام من التضحية بالمال والنَفس والأهل، بل وتعريض حرمه وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله للسبي من أجل الحفاظ على الدين.

ولقد لخص سيرته الكريمة في قوله عليه السلام: **«الموت خير من ركوب العار والعار خير من دخول النار»**[1].

غرموله ثم قبض عليه بأسنانه ثم قلعه ثم خرَّ ميتا».

(١) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٢٤، وبحار الأنوار، ج٤٤، ص١٩٢.

ومراده عليه السلام من الموت هو الخطر على النفس، ومن العار الخطر على العرض، ومن دخول النار هو الخطر على الدِّين.

ومن هنا يبرز ويظهر جلياً واضحاً أن هناك نوعاً من الرذائل النفسانية أقبح وأشنع من فَقْد الغيرة على العرض، ألا وهو فَقْد الغيرة على الدين الذي هو أسمى وأهم من النفس والمال والعرض وكل ما يمت إلى الإنسان بصلة.

وإذا كان فقْد الغيرة على العرض سبباً في مسخ بعض الناس حيوانات[١]، وسَلبهم روح الإيمان[٢]، ولعنهم[٣] وتحريم الجنة عليهم[٤]، كما ورد في كثيرٍ من الروايات، فما بالكَ بمن لا يغار على دينه ومذهبه مع كونه يراه حقاً ويرى كل ما سواه باطلاً، وفي حين أن الدين أصل كل الفضائل ومنها الغيرة؟

بل ما بالك بمن يغضب ويعادي ويحارب لأجل الدفاع عن أبسط المصالح الدنيوية، مما لا يعدو كونه من حطام الدنيا الفانية، إذا شعر أن الآخرين يريدون سلبه إياها، ويكون مصداقاً لما وصف به الله تعالى اليهود قائلاً: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾[٥]، بينما تراه يسمع بأن المقدساتَ الدينية تُنتهك، والشعائر الدينية تُوهَن وتُحارَب،

---

(١) الكافي، ج١، ص٢٤٦، بإسناده عن الرضا عليه السلام: «الذنب مسخٌ، كان أعرابياً ديوثاً».

(٢) الكافي ج٥ ص٥٣٦ ح٣.

(٣) المحاسن ج١ ص١١٥ ح١١٦.

(٤) المحاسن ج١ ص١١٥ ح١١٨.

(٥) سورة البقرة، الآية ٩٦.

وكرامات الأنبياء والأئمة عليهم السلام تُهتك، ويُنسب إليهم ما لا يَقبل المؤمن العادي بأن يُنسب إلى نفسه، كل ذلك أمام الملأ وفي الكتب وعلى صفحات الجرائد والمجلات، ورغم ذلك كلّه لا يحرك ساكناً، ولا ينبض له عرق غضب، ولا تأخذه حميَّة على دين، بل يحاول إخفاء دياثته هذه بالاختباء خلف شعارات خدَّاعة من قبيل: (الانفتاح، والعصرنة، والحداثة، والحرية، واحترام الرأي الآخر، والإنصاف، والموضوعية، والوحدة، ودَرء الفتنة و..)، إلى غير ذلك مما لا نجد له عيناً ولا أثراً عندما يكون المهاجَمُ والمحارَبُ هو ذاتَه المقدَّسة ومصالحه الشخصية، وأهواءه ومشتهياته الحيوانية؟

والسبب الحقيقي وراء ذلك قد بيَّنه القرآن الكريم بقوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[1].

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[2]، فبيَّن أن من أعظم الفسق أن يتخاذل المرء عن نصرة الله ورسوله صلى الله عليه وآله حفاظاً على حطام الحياة الدنيا، وأن صفة المؤمن الواقعي أن يكون الله

---

(١) سورة الأعلى، الآية ١٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٤.

ورسوله ﷺ أحبَّ إليه من كل شيء، أهله وماله ونفسه وعشيرته، ولذلك رُوي عن رسول الله ﷺ متواتراً أنه قال:

«لا يؤمن عبد حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه، وتكونَ عترتي أحبَّ إليه من عترته، ويكونَ أهلي أحبَّ إليه من أهله، ويكونَ ذاتي أحبَّ إليه من ذاته»[١].

ولكن لما كان من السهل لكلِّ أحد أن يدَّعي أن رسول الله ﷺ أحبُّ إليه من كل شيء حتى من نفسه، لِيترتب عليه أنه مؤمن واقعي، ولو كان هو في الواقع أعدى أعداء النبي وعترته الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين، أعطى ﷺ ضابطة وعلامة يميِّز من خلالها الصادق في دعواه هذه من الكاذب، والمنافق من المؤمن، وهذه الضابطة هي ما رواه الشيخ الطوسي قُدِّسَ سِرُّه في أماليه بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يكون العبد مؤمناً حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه ومن ولده وماله وأهله.

قال: فقال بعض القوم[٢]: يا رسول الله، إنا لنجد ذلك بأنفسنا.

---

(١) علل الشرائع، ج١، ص١٤٠، وروضة الواعظين، ص٢٧١، وصحيح البخاري، ج١، ص٩، وغيرها من المصادر.

(٢) يظهر أن القائل هو عمر بن الخطاب، كما في (الصراط المستقيم ج٣، ص١٦٨) وفي (مسند أحمد ج٤، ص٢٣٣) بإسناده عن زهرة بن معبد عن جده قال: «كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب.. فقال: والله لأنت يا رسول الله

فقال ﷺ: بل أنا أحبُّ إلى المؤمنين من أنفسهم.

ثم قال: أرأيتم لو أن رجلاً سطا على واحد منكم فنال منه باللسان واليد، كان العفو عنه أفضل أم السطوة عليه والانتقام منه؟

قالوا: بل العفو، يا رسول الله.

قال: أفرأيتم لو أن رجلاً ذكرني عند أحد منكم بسوء وتناولني بيده كان الانتقام منه والسطوة عليه أفضل أم العفو عنه؟

قالوا: بل الانتقام منه أفضل.

قال: فأنا إذن أحبُّ إليكم من أنفسكم»[١].

أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى أكون عنده أحب إليه من نفسه، فقال عمر: فلأنت الآن والله أحب إلي من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: الآن يا عمر!!».

أقول: قول عمر «فلأنت الآن..» قرينة قطعية على أن قوله ﷺ «الآن يا عمر» إستفهام إنكاري وإشارة إلى أن عقيدته الأصلية هي التي أظهرها أولاً وإنما اضطر إلى إظهار ما ذكره ثانياً بعدما واجهه ﷺ بعدم كفاية ما كان عنده من العقيدة في كونه مؤمناً.

مضافا إلى أن هذه الدّعوى يسهل ادّعاؤها من كلّ أحد ولهذا خاطبه ﷺ بما يظهر للسامعين أنه ليس الآن وقت إثبات صدقها أو كذبها، وإنما سيتّضح لكلّ أحد مدى محبّتك لي في حياتي بتقدمك في الحروب وتضحيتك بنفسك دفاعاً عني بدل ما هو ديدنك من الفرار أو التترس بي والالتجاء الى العريش، وبعد وفاتي ورحيلي من الدنيا، بغصبك علياً عليه السلام حقّه، وقتلك ابنتي عليها السلام مغصوبة حقّها، مكسوراً ضلعُها، مسقطاً جنينها، إلى غير ذلك من الجنايات التي ستصدر منك في حقي وحق عترتي الطاهرة!!

(١) أمالي الطوسي، ص٤١٦.

فنبه ﷺ ببيانه أنه وإن كان كل مسلم يمكنه أن يدعي أن النبي ﷺ وعترته عليهم السلام أحبُّ إليه من نفسه وعترته، إلا أن الذي يكشف صدق هذه الدعوى من كذبها هو: (أن يكون الإنسان كما يسطو وينتقم إذا اعتُدي عليه أو على عترته، فكذلك إذا اعتُدي على النبي ﷺ وعلى عترته عليهم السلام فإنه يسطو وينتقم، حتى لو كان نوع الاعتداء مما يمكن أن يعفوَ عنه فيما لو كان متوجهاً إلى نفسه وعياله).

وبعبارة أخرى: (أن يكون ممن يغضب لله تعالى ولرسوله ﷺ ولأهل بيته عليهم السلام كما يغضب لنفسه وأهله وعياله، بل أزيد وأشد).

ولكن للأسف أكثر الناس على خلاف هذه الصفة، وليس شيء أدلّ على ذلك مما نراه من أنّه لو أقدم شخص ما على هتك أو إهانة أحد رجالات السياسة أو شعب من الشعوب، فإن هذا الشخص سيكون عرضة لعاصفة من الاعتراضات والإدانات من جميع الجوانب في الداخل والخارج.

وكذلك الأمر إذا ما وجِّهت إهانة لفئة من الناس في بلد ما، فإن الحكومة والشعب سيهبّان للدفاع عن تلك الفئة.

وفي المقابل، إذا ما تعرَّض أحد ما أو جماعة معينة بالقدح والذم للدين أو لبعض مقدساته، فإن المسألة تُصنّف باعتبارها حرية رأي، وينبري من يدعو إلى التزام الصمت بدعوى أنه لا يجوز إثارة الشقاق والخلافات، ولهذا رأينا وقوف العالم كلّه وراء سلمان رشدي وكيف هبَّ للدفاع عنه، على الرغم من إهانته للنبيّ الأكرم ﷺ.

وليس من المبالغة في شيء القول بأنه ما من مظلوم في هذا العالم هو أشد مظلومية من الله عزّوجلّ خالق جميع الظالمين والمظلومين والقاهر فوقهم، ومن النبيِّ صلى الله عليه وآله والأئمَة المعصومين عليهم السلام وأصول الدين وضرورياته، لا سيما أنه بات في مقَدور أيٍّ كان النيلُ من كرامة النبي والأئمة عليهم السلام، أو إسقاط وتحريف ما يحلو له من أصول الدين وضرورياته.

ولكن، إذا تعرَّض أحد ما وخالف أو وجَّه اعتراضاً على وجيه في المجتمع سواء كان دينياً أم حزبياً أم اجتماعياً أم غير ذلك، يصبح واجباً ـ بل أهم الواجبات على الإطلاق ـ الدفاع عن هؤلاء، حتى لو أدى ذلك إلى إثارة الفتنة والشقاق وسفك الدماء، بل عند بعضهم حتى لو أدى إلى هدم الدين أصولاً وفروعاً.

وأما إذا تعرَّض مطلق شخص لدين فئة عظيمة كبيرة تعتقد بعقيدة أهل البيت عليهم السلام، فإن كل من يدافع عن دينه يُعتبر مثيراً للشقاق والفتنة، ويُتَّهم بالعمالة للغرب وللاستكبار العالمي وبكونه مدعوماً من الاستخبارات العالمية، ولكن الإنصاف أن هذه التهم لا تنطلق إلا من الاستخبارات العالمية، حيث إنها تستفيد من هذه السياسة لصرف الأفكار والأقلام عن التوجه إلى العملاء الذين يعملون لصالحها واقعاً من خلال نشرهم الانحرافات والتشكيكات في عقائد الشيعة ومقدساتها وذلك بتسليط الضوء وتوجيه الأفكار والأقلام والخطابات إلى المدافعين عن الدين والمحاربين للبدع والمبادرة إلى اتهامهم!!.

الفتنة

لا ريب أن الاختلاف بين الحق والباطل خير من الاتفاق على الباطل وقد نصّ الكتاب الكريم في سورة البقرة بقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّه﴾[1]، وقوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[2]، وفي مورد آخر منها: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾[3]، على أن اختلاف المسلمين فيما بينهم، وتحاربهم وقتل بعضهم بعضاً، وإن كان أمراً عظيماً جداً، ومن أعظم الحرمات عند الله تعالى، إلا أن أعظم وأشد وأكبر منه هي الفتنة في الدين، وانتشار البدع والضلالات في المجتمع الإسلامي، ذلك لأن الفتنة في الدين تؤدي إلى قتل الإيمان والعقائد الحقة في نفوس أفراد المجتمع الإيماني مما يؤدِّي بهم إلى الوقوع في الهلكة الأخروية، وذلك يعني قتل شخصيتهم الدينية مع بقاء شخصهم المادي الحيواني، ونتيجة ذلك قتلهم قتلاً لا يحيون بعده أبداً، وهذا بخلاف الفتنة والاختلاف على الأمور الدنيوية فإنه وإن أدى إلى القتل أحياناً، إلا أن القاتل والمقتول كلاهما باق على إيمانه ـ وإن كان آثماً بارتكابه لكبيرة من أعظم الكبائر ـ ويُرجى له النجاة يوم القيامة.

فعن إمامنا السجاد عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٧.

حَياةٌ يا أولي الألْباب لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ﴾ قال: «.. عبادَ الله هذا قصاص قتلكم لمن تقتلونه فِي الدنيا، وتفنون روحه، أفلا أنبِّئكم بأعظم من هذا القتل، وما يوجبه الله على قاتله مما هو أعظم من هذا القصاص؟

قالوا: بلى يا ابن رسول الله.

قال: أعظم من هذا القتل أن يقتله قتلاً لا يُجبر ولا يحيى بعده أبداً.

قالوا: ما هو؟

قال: أن يُضلَّه عن نبوَّة محمد صلى الله عليه وآله، وعن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ويسلك به غير سبيل الله، ويغريه باتِّباع طريق أعداء عليٍّ والقول بإمامتهم، ودفْع عليٍّ عن حقه، وجحْد فضله، وألا يبالي بإعطائه واجب تعظيمه، فهذا هو القتل الذي هو تخليد المقتول في نار جهنم خالداً مخلداً أبدا، فجزاء هذا القتل مثل ذلك الخلود في نار جهنم»[1].

وقد فضحت السيدة الزهراء عليها السلام الذين يتَّخذون مسألة خوف الفتنة والاختلاف ذريعة لإسكات المدافعين عن الحق والولاية، أو لاتهامهم بأنهم من أهل الفتنة وشق عصا المسلمين، وما شابه ذلك من الشعارات المتكرِّرة والمستمرة على طول التاريخ، سواء الماضون منهم أم الذين هم موجودون

---

(١) الاحتجاج، ج٢، ص٥٠ .

على طول التاريخ وفي كل عصر،حتى في زماننا هذا، خصوصاً الذين سكتوا ويسكتون عن جنايات أعدائها الذين أحرقوا بابها وأسقطوا جنينها وتخاذلوا عن نصرتها متذرِّعين بخوف الفتنة وشقِّ عصا المسلمين، بقولها في خطبتها المشهورة التي لا يزال صداها مدوياً في مسامع التاريخ: «**زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾**»[(١)].

حيث بيَّنت عليها السلام أنهم تذرَّعوا في تخاذلهم عن نصرتها بخوف وقوع الفتنة والفرقة والاقتتال بين المسلمين، ولكنَّهم وقعوا فيما هو أكبر وأعظم من ذلك، ألا وهو الفتنة في الدين والرِّدَّة عن الإسلام، ولذلك شهدت عليها السلام شهادة صريحة بكفرهم بفعلهم هذا باستشهادها بقوله تعالى: **﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾**.

وعلى أي حال، فهذا الذي ذكرناه ـ من أهمية الدفاع عن الدين والمذهب الحق، وعدم وجود ما يصلح لمزاحمة هذا الواجب على الإطلاق، لعدم وجود شيء هو أهم من الدين، حتى ما يزعمونه من خوف الفتنة ووقوع الفرقة والاختلاف والتناحر بين أبناء المجتمع الإيماني ـ أمر بديهي لا يحتاج إلى تجشم استدلال أو إقامة برهان، وقد صرَّح القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ**

---

(١) خطبتها عليها السلام من المتواترات، وليراجع بحار الأنوار، ج٢٩، ص٢١٥، حيث نقلها عن مصادر كثيرة.

بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]، بأَنَ بَعْث الرسلَ وإنزَال الكتب زاد اختلافاً على الاختلافات الموجودة بين الناس، وهو الاختلاف فيما (أوتُوهُ) من الكتب والشرائع.

كما أنَّا نعلم بأن رسول الله ﷺ لو لم يُنصِّب أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة من بعده لما وقع الاختلاف بين الشيعة والسنة من زمن وفاة رسول الله ﷺ إلى زماننا هذا، فضلاً عما استتبع ذلك من حروب وسفك الدماء واستشهاد من مضى من أئمتنا عليهم السلام بالسيف أو السمِّ وابتلائهم بالأسر والسبي وغيرها من المفاسد، ولكن أهمية مسألة الدين عند الله، وأهمية مسألة الإمامة التي هي قوام الدين، أوجبتا أن يبعث الله الرسل وإن ترتب على ذلك حدوث الفرقة والاختلاف بين المؤمنين من جهة، والكفار والمنافقين من جهة أخرى، من أول الخلقة وإلى يومنا هذا، كما تكرر ذكره من أول القرآن إلى آخره.

فبقاء الحق وانحفاظه في فئة قليلة وإن اتهمت بشقِّ عصا المسلمين وإثارة الفتنة، هو لا شك خير من زوال الحق بالكلية، والاتفاق على الباطل.

وما ذكرناه هو ما جرت عليه سيرة العلماء العدول الأثبات من أول الدهر، حيث لا يخفى على أحد مدى اهتمامهم بالشريعة الغراء وتركيزهم

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٣.

على إرساء قواعدها وتثبيت أسسها، بحيث لا ترى منهم أية مهادنة أو مدارة في مواجهتهم للطرق الملتوية والمقالات الزائفة والآراء المبتدعة.

بيد أنهم ما كان يثنيهم تجهيل جاهل أو تسفيه سفيه لهم عن الإجهار بالحق ومقارعة ما يتصل بالباطل، وما غرَّهم أبداً ادعاء المناوئ لأمور يظن صلوحها مانعاً عن القيام بواجب إرشاد الناس إلى الحق، وتعريفهم سبيله.

والملاحظ أن الظروف القاسية التي عاشها أصحاب الأئمة وعلماؤنا لم تدفعهم إلى المساومة والمسالمة على الرغم من وجود أكثر تلك العناوين التي يتذرع بها البعض في عصرنا الحاضر.

وفي الوقت الذي لم يكن عندهم معشار ما ننعم به اليوم من أمن وأمان وحرية إبداء رأي، وجدناهم متفانين في الدفاع عن المذهب الحق، والذود عن حياضه، ولئن صنَّف واحدهم في الفقه أو في أصوله كتاباً ترى له في المقابل عشرات المصنفات في مقام الرد على أهل البدع ناهيك عن مثلها من المقالات والمحاججات والرسائل.

واللطيف أيضاً أن تلك الهمم العالية منهم لم تكن مختصة بالرد على المخالفين لنا في العقيدة، بل وجدناهم اجتهدوا في التشنيع على ما التزم به البعض مما هو واضح الفساد حتى لدى عامة الناس، ولا يشكل أي خطورة على الدين والمعتقد، كما وقع منهم في الرد على من كان يلتزم بعدم نقصان شهر رمضان عن ثلاثين يوماً.

بل وجدناهم أنهم مع إجلالهم واحترامهم لبعض العلماء قد أهملوا نتاجه العلمي لا لسوء عقيدته أو فساد معتقده، وإنما لأنه كان يرى جواز

العمل بما ظنوه أنه من القياس، كما وقع منهم في حق ابن الجنيد.

ولا مجال عندنا لاستقصاء الشواهد على ذلك، فإن استقصاءها يحدو بنا إلى تأليف كتاب ضخم، ويكفي مراجعة مثل فهرستي النجاشي والشيخ.

هذه سيرة علمائنا على مر العصور والدهور، وهكذا أدَّب الأئمة شيعتهم وبذلك أمروهم، وكان أن نتج عن ذلك حفظ المذهب والدين، فوصل إلينا صافياً نقياً عن كل شائبة، ولم يكن ليبقى شيء من الدين لولا تضحياتهم.

ولو أنه عمد كل واحد منهم في وقته وظرفه إلى التقاعس أو التواني أو ملاحظة بعض العناوين التي لم تقم لها الشريعة وزناً، لما بقي من الدين أثر، فإن في كل زمن ما لا يكاد يحصى من العناوين التي لو أخذنا ببعضها لذهب الحق.

ثم بالله تعالى عليك كيف يعقل أن يبقى الحق أو يعرف لو أنه لم يعمد إلى تزييف الباطل، ورد البدع؟!

أوَليست البدعة تصبح ديناً ما لم يبين ابتداعها؟!

وقد حثت الشريعة وأمرت بالتصدي لأهل الأهواء والآراء الزائفة، بل في بعض الأخبار أن لعنة الله على الكاتم لعلمه، وأن الساكت عن بيان الحق عندما تحجبه الشبهات والأباطيل عن عيون ضعاف البصيرة شيطان أخرس.

وانطلاقاً مما تمهَّد، وبعد أن كان بعض ما ورد في المقالتين المتقدمتين اللتين نشرتهما مجلة «نصوص معاصرة» يمسُّ بالصميم كثيراً من المعتقدات الحقة، بل قد تضمنتا التشكيك في جملة من الضرورات الفقهية، والأخطر

من ذلك تصريح الكاتب بتبنّيه لفكرة نشر بعض الأمور الباطلة بغرض تلقيح المجتمع الإيماني، مستغفلاً بيان جواز مثل هذا الأمر وكأنه شيء مسلَّم، غير آبه بترتب ضلال كثير من أبناء المجتمع حيث لم يجرعهم من ذي قبل الدواء المضاد، رأينا أن الواجب الديني يحتم علينا بيان فسادها وخطورة مؤداها، وقد سعينا جاهدين لمناقشة صاحب المقالتين شفاهاً دَرءً لأمور لا تحمد عقباها، لكننا لم نجد أي نحو من التجاوب وقبول المناقشة، فلذا كان منا التصدي لكتابة هذا الرد ووسمناه باسم (**أنفلوانزا التغيير**) لمكان الشبه بين الفكر التغييري المدمِّر الذي تضمنته مقالتا الكاتب هاتان وبين مرض (**أنفلوَنزا الطيور**) الذي كثر الحديث عنه في الآونة الأخيرة، لاشتراكهما في أن كلاً منهما وباء قاتل جاءنا من وراء الحدود، فإنه لا يكاد يخفى على المتتبِّع اللبيب أن حملة هذا الفكر والمنادين به في مجتمعاتنا الإيمانية قاموا باجترار أفكار العلمانيين العرب، الذين هم بدورهم يعيشون على فضلات الملحدين الغربيين وترهاتهم، حيث دعتهم مصالحهم الدنيوية إلى إعادة إحياء الفكر السوفسطائي التشكيكي كما دعت أسلافهم من الإغريقيين إلى تأسيسه من قبل، وأرادوا من خلال الدعوة إلى هذا الفكر والترويج له في المجتمع الإيماني باسم الفكر المعاصر والنصوص المعاصرة قتل روح الإيمان الحقيقي في نفوس أبناء هذا المجتمع وذلك عبر ترويج بضائع الغرب الفكرية الإلحادية والتحلُّلية باسم عقلنة قضايا الدين وعصرنة نصوصه[١].

---

(١) وليُراجع في هذا المجال مجلة (علوم الحديث) العدد ١٩، مقالة (عقلنة قضايا الدين وعصرنة نصوصه على حساب من؟ نقد للمناهج والأفكار والأهداف).

المقالة الأولى لداعية التغيير والتجديد حيدر حب الله:

لماذا نصوص معاصرة؟

الوضوح والشفافية من العناصر اللازمة في الفكر والمشاريع الفكرية المعاصرة، بل إن واحدةً من أزماتنا المعاصرة في العالم الإسلامي غياب روح الشفافية عن ساحتنا الفكرية والثقافية، فضلاً عن الساحات الأخرى.

من هنا، نحاول في هذه المقدمة تحديد تصوّرنا عن مشروعنا وأسسه الفكرية والثقافية، لكي تتجلى الصورة وتتضح، ونقدّم لذلك بمدخل بالغ الإيجاز في صورة المشهد الثقافي الإيراني المعاصر، ثم نعرض تصوّراتنا عن نقل هذا المشهد إلى القارئ العربي.

مدخل إلى المشهد الثقافي الإيراني:

كثيراً ما ينظر المراقبون إلى التطورات السياسية في إيران، بوصفها منجزات وإخفاقات مرتهنة لتجربة قيام الثورة الإسلامية فيها بما تمثّله من حدث سياسي، مغفلين تلك التأثيرات الثقافية والفكرية التي تبعتها، سواء داخل الحوزة العلمية أو خارجها. وباعتبار أن التجربة لا زالت حية وقريبة من الجميع كما ويمكنها أن تكون مادةً هامة للقراءة المفضية إلى توظيف الخبرات في عملية تجاوز للإشكاليات والسلبيات، لذا فمن الضروري الاطلاع عليها ومتابعتها والتعرّف على تأثيراتها المختلفة.

وفي هذا الصدد، يمكن عرض المشهد الثقافي والفكري في الساحة الإيرانية بإيجاز بالغ ـ مقدّمةً لعرض تصوّراتنا عن نقل هذا المشهد إلى العالم العربي ـ عبر تلخيصه باتجاهين رئيسين، دون تبنّي أيّ منها فعلاً أو الدفاع عنه، وإنما محاولة لعرضه وقراءته، والكشف عن أبرز رموزه الفكرية وناشطيه.

أولاً: الإتجاه التقليدي (المدرسي): ويتمثّل في أغلب الشخصيات الدينية التي تصدّت لمقام المرجعية، أو بعض أساتذة الحوزات العلمية في مدينة قم المقدسة بالخصوص، وكذلك في مشهد وأصفهان.

واهتمامات هذا التيار هي نفسها المتعلّقة بالموضوعات التقليدية والاهتمامات الدراسية بكتب وأبحاث فقهية معروفة، تتلخّص في مجموعة مصادر أساسية منها كتاب جواهر الكلام للنجفي ومستمسك العروة للحكيم، والمستند وغيره للخوئي، وإلى حدّ ما نتاج الخميني الفقهي والأصولي أيضاً.

والتيار التقليدي تيار معروف ومألوف في عموم الساحة الشيعية داخل إيران وخارجها، وبيده حالياً الكثير من مواقع النفوذ.

ثانياً: الإتجاه التجديدي (الإصلاحي): وهو عبارة عن اتجاهات وأطياف متعدّدة تبلغ بتعددها حدّ التناقض.

وينقسم هذا الاتجاه من الناحية الفكرية إلى تيّارين رئيسيين:

الأول: التيار التجديدي الداخلي (من داخل الحوزة): ويسعى هذا الاتجاه إلى تطوير المنظومة المنهجية في الحوزة العلمية من داخل الحوزة، وضمن الأطر والمفاهيم والمقاييس نفسها التي تتماشى مع الحوزة ونظامها الفكري.

وتختلف أساليب التجديد ضمن هذا الاتجاه باختلاف الاهتمامات ومسلسل الأولويات المنظورة مما يشطره إلى تيارات ثلاثة كالتالي:

١ ـ تيار تطوير لغة الخطاب: ويعمل على محاولة تجديد الفكر الإسلامي والمفاهيم الإسلامية من داخل المنظومة الفكرية الحوزوية وبالآليات الأصولية والفقهية المتعارفة والمتوارثة نفسها. فهنالك من يسعى إلى تطوير اللغة عبر صياغة المفاهيم السائدة صياغة جديدة تتناسب ولغة العصر، وهو ما دأب عليه مفكرو الشيعة منذ العشرينات الميلادية، فقاموا بإعادة صياغة الأفكار السابقة وقدّموها

بأساليب أكثر عصرانية.

وأمثلة ذلك كثيرة، منها اقتصادنا والفتاوى الواضحة للسيد الصدر، والتي كانت مستمدّة أساساً من كتاب الروضة البهية للشهيد الثاني، وكتاب المكاسب للشيخ الأنصاري، وشرائع الإسلام للمحقق الحلي، وعلى المنوال نفسه كتاب فقه الإمام جعفر الصادق للشيخ محمد جواد مغنية المستند على كتابي المكاسب وشرائع الإسلام، بل حتى على الصعيد الفلسفي طرحت كتب المطهري غالباً الأفكار ذاتها المستمدّة من مدرسة ملا صدرا الشيرازي وملا هادي السبزواري.

وقد كان ذلك منطلقاً من الاعتقاد بأن تحويل هذه الأفكار الموجودة في بطون كتب التراث وعرضها بلغة معاصرة سيكون كافياً ـ إلى حدٍّ ما ـ لتحقيق التقدّم المنشود.

ومن أبرز رموز هذا الاتجاه حالياً الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، وهو أحد مراجع التقليد البارزين في قم، وله كتابات عديدة بلغة جديدة وعصرية تتناسب مع متطلّبات الشباب، وتقديم الإسلام لهم بلغة تناسبهم، وكذلك أستاذنا الشيخ باقر الأيرواني ـ الذي انتقل مؤخّراً إلى العراق ـ حيث سعى إلى تقديم العديد من المناهج الدراسية الحديثة، منها كتابه دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي الذي أقرّ تدريسه رسمياً في الحوزة منذ سنتين أو ما يزيد، وكذلك كتابه دروس تمهيدية في علم الرجال، وتعتبر تجربته متميزة من ناحية تقديم لغة جديدة لتطوير المناهج.

كما وهناك أيضاً تجربة الشيخ محسن قراءتي والتي تتميز بتطوير علاقات شخصية مع محدّثيه عبر برامج تلفزيونية ومحاضرات كسر فيها الحواجز التقليدية المصطنعة بين المخاطب والمخاطَب، ليطرح الأفكار والمفاهيم بلغة تغلب عليها اللطافة والمزاح والبساطة مما ترك تأثيراً بالغاً على قطاع واسع من الشباب.

ومن التجارب الأخرى أيضاً تجربة الشيخ محمدي الري شهري في مجالات عديدة، كان من أبرزها ميزان الحكمة وسلسلة مصنفات في موضوعات حية وجميلة.

ومن التجارب الإدارية المتميزة في هذا المجال تجربة مرشد الثورة السيد علي الخامنئي في تأكيده على تطوير مناهج الحوزة العلمية، وقد دفع لإدخال مواد علمية جديدة في الحوزة من بينها اللغات الأجنبية والعلوم الحديثة، وأجرى نظام الامتحانات وشروط القبولِ و... بشكل لم يسبق له مثيل.

٢ ـ تيار التطوير المراحلي للمفاهيم الفقهية: يغلب على الحوزات العلمية الطابع الفقهي، ويعتبر الكثيرون مادتي الفقه والأصول المادّتان الرئيسيتان في الدراسات الحوزوية برمّتها، وهذا ما سبّب تأخّراً بيّناً في الدراسات القرآنية التي لم تعد إلا مؤخّراً في الحوزات العلمية، ومثلها علوم الفلسفة والكلام.

فمن النماذج التي تسعى لتطوير المفاهيم الفقهية تجربة أستاذنا السيد محمود الهاشمي الذي يمتلك الكثير من الآراء والمعالجات الفقهية الجريئة، وهو على قناعة تامة بهذا التطوير، إلا أنه يرى ضرورة التدرّج في طرح الأفكار الجديدة وعرضها، فمن آرائه مثلاً أن آية الخمس لا تدل على خمس أرباح المكاسب خلافاً للرأي السائد لدى عموم فقهاء الشيعة، وقد طبع له كتاب في بيروت حمل عنوان قراءات فقهية معاصرة، جمع فيه حوالي العشرين دراسة في الفقه الإسلامي.

ومن النماذج الأخرى في هذا المجال الشيخ حسن الجواهري الذي قام بمعالجة وافية للعديد من القضايا المعاصرة بأسلوب متقدّم كموضوع الاستنساخ والتلقيح الصناعي والمناقصات و... كما أنه طرح آليات فقهية جديدة، ولديه كتاب يجمع أبرز أعماله يقع في ثلاثة مجلدات تحت عنوان بحوث في الفقه المعاصر.

كما أن تجربة الشيخ محمد علي التسخيري التي جمعها في كتاب ذي أربع مجلدات تضيف مادة مهمّة، وتطل إطلالة جديدة على بعض الموضوعات الفقهية ضمن عرض جديد وتنظيم مستحدث وآليات متقدمة الى حد جيّد.

ويمكن كذلك اعتبار مشروع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ضمن هذا الإطار، حيث إنّ لديه مجموعة من الفتاوى والاجتهادات الجديدة والجريئة، والتي عادة ما

تثير ضجّة في الأوساط العلمية بين الفينة والأخرى، مثل رأيه في الذبح في منى، وفي رمي الجمرات، وأخيراً في حرمة التدخين، حيث يرى بأن الأعمدة القائمة حالياً لم تكن معهودة عصر الرسول ﷺ، بل كان المسلمون يرمون الجمرات في أرض فضاء، ومن ثمّ فسقوط الجمرات عليها يكفي، وقد كتبت العديد من الردود على ذلك باللغتين العربية والفارسية.

كما أن للسيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي ـ رئيس السلطة القضائية السابق ـ آراء ملفتة، من قبيل رأيه في أحكام الارتداد التي قد لا تنطبق على ما هو موجود الآن.

٣ ـ **تيار التجديد الفقهي**: ويؤمن أصحاب هذا التيار بضرورة التجديد الفقهي العاجل، وليس المتأني كما يراه التيار السالفة الإشارة إليه. ومن أبرز رموز هذا التيار الشيخ يوسف الصانعي أحد المتصدّين للمرجعية، وله آراء جريئة وخصوصاً في فقه المرأة والفقه السياسي، فمثلاً يرى ضرورة الحصول على إذن الزوجة السابقة للارتباط بأخرى، ويرى كذلك أن دية المرأة مساوية لدية الرجل، ويخالف من يقول بنقصان دية الذمي عن المسلم، كما يعتقد بكراهة الزواج الثاني، ويناقش أيضاً موضوع انحصار الطلاق بيد الرجل ـ الذي يعتبر عمدة بحث الطلاق ـ حيث لا يرى دليلاً قرآنياً عليه.

أما الشيخ محمد إبراهيم الجناتي (وهو غير الشيخ أحمد جنتي رئيس مجلس صيانة الدستور اليوم) فتصبّ جهوده في الإطار نفسه، وله كتاب كبير في الفقه المقارن بين المذاهب، ولديه آراء ومداخلات كثيرة في المواضيع الفقهية، فهو يرفض مثلاً فكرة الاحتياط أصلاً، وذلك يدل على جرأة كبيرة لديه، وقد سبقه إلى ذلك الشيخ محمد جواد مغنية في تعليقه على موضوع طهارة الكتابي، وكذلك ممن خالف الاحتياط الشيخ مرتضى المطهري والسيد مصطفى الخميني ـ وكان فقيهاً متقدماً وقد أعيد طباعة كتبه في الفقه والأصول والتفسير بحلّة جديدة ـ وقد سبب ذلك التشكيك في الكثير من البديهيات الفقهية الواضحة.

ومن الرموز البارزة والمتقدمة في هذا الاتجاه الشيخ الصادقي الطهراني صاحب كتاب "تبصرة الفقهاء" وهو موجّه للفقهاء لإبانة إشكالات وقعوا فيها، ويميل الطهراني كثيراً إلى الاستنباط من القرآن الكريم معارضاً التيار الأخباري بشدّة كبيرة، ومن آرائه أنه لا خمس في أرباح المكاسب، ويناقش الفقهاء في ما يطلقون عليه محرّمات الإحرام ويرى ـ بدلاً عنها ـ محرّمات الحج مستدلاً بقوله تعالى "فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج"، وأن الحل من الإحرام لا يحل الحاج من المحرمات المذكورة. كما أنه يرى زكاة النقدين في عصرنا الحاضر ولا يرى إنحصارها في الموارد التسعة المشهورة بين الفقهاء و...

الثاني: التيار التجديدي الخارجي (من خارج الحوزة): ويسعى هذا الاتجاه إلى القيام بتجديد فكري عبر تناغم بين عناصر جامعية أو ذات خلفيات حوزوية ودراسات دينية، وينطلق في مشروعه من اعتماد آليات في الفكر الديني لا تنتمي إلى الموروث المعمول به داخل الحوزات اليوم.

ولعلّ أبرز هؤلاء السيد محمد حسين المدرسي الطباطبائي، وهو يستند في منهجه على أساس القراءة التاريخية، وقد درس الطباطبائي في الحوزة العلمية، وحصل على شهادة الدكتوراة، ويدرّس الآن في إحدى جامعات أمريكا، ويكتب معظم كتبه باللغة الإنجليزية، وله دراسات تاريخية في الفقه، وفي تطور المباني الفكرية للشيعة في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، وتمت ترجمة كتابه الأخير إلى الفارسية ثم العربية وأثار ضجة كبيرة سرعان ما همدت عندما أقلع الطباطبائي نفسه عن فكرة نشر كتبه بالفارسية في إيران على ما أظن.

ويعتمد الطباطبائي على قراءة الفقه وعلم الكلام قراءة تاريخية بحتة، وهو موثق بمئات المصادر التاريخية. ويعتبر منهج المدرسي منهجاً جديداً على مناخ الدراسات الحوزوية، فهو منهج جاء من الغرب، وقد يكون الأستاذ أحمد الكاتب فيما أظنّ قد أخذ الكثير من أفكار المدرسي ـ وخاصة في كتابه تطور الفكر السياسي الشيعي من نظرية الشورى إلى ولاية الفقيه ـ ولكنه تبناها بوصفها مفاهيم

عقدية، بينما كان المدرسي يسردها ويشرّحها بوصفها تحليلاً تاريخياً لينأى بنفسه عن تبنيها أو إقحامها المجال العقدي، ولست متأكداً من اطلاع أحمد الكاتب على نتاج المدرسي فهذا الأمر يحتاج إلى دراسة ومتابعة.

وهناك أيضاً تجربة الشيخ محمد مجتهد شبستري الذي يتبنى آراء حقوقية جريئة فيما يتعلّق بحقوق الإنسان والحريات الشخصية والعامة، فمنها قوله بضرورة التخلّي عن ما يطلق عليه نظرية حقوق الإنسان في الإسلام إنطلاقاً من ضرورة التعايش مع الإنجازات الإنسانية في العالم عبر البحث عن حلول لبعض الإشكاليات البسيطة بصورة أو بأخرى، كما أنه يقول بأن الإمام علياً عليه السلام لا يمكن اعتباره قدوة في تطبيق القضايا الحقوقية، لأن تصرفاته كانت مرتبطة بظرفه التاريخي الذي قد لا يتطابق مع ظرفنا المعاصر، وإنما يمكن فقط أخذه معيناً للنظرية المعاصرة في الحقوق، ويميل شبستري إلى رفض الاتجاه الطبيعي الذي يعتقد بأن الحقوق والقوانين لا بد أن تتناغم مع متطلبات التكوين والطبيعة، وهي المقولة التي سادت عقلية المفكر الإسلامي في القرن العشرين برمّته، وأشاد عليها المفسر الطباطبائي والشيخ المطهري وغيرهما أفكاراً كثيرة حول المرأة وغيرها، ولهذا يدعو شبستري إلى عدم قراءة موضوع المرأة من زاوية الحقّ الطبيعي، وإنما من زاوية متطلّبات الحياة وأوضاعها ومستجداتها التي تسير دوماً في ظل سيرورة وحراك مستمرّ دؤوب.

ومن النماذج البارزة ضمن هذا الاتجاه أيضاً السيد محمّد جواد الأصفهاني، وهو رجل دين مسن يقيم حالياً في إصفهان، وله كتاب يحمل عنوان: "حول ظن الفقيه" كتبه أصلاً بالعربية، ونقله إلى الفارسية، ويعتقد فيه بأن خبر الواحد ليس حجّة في علم أو عمل، وهي فكرة لا تكاد تفعّل إلا على حساب الإطاحة بالكثير من الأفكار الفقهية، وله كتاب آخر بعنوان "البحوث الإستدلالية" وفيه منهج فقهي متكامل لا يقوم - إلى حد ما - على أخبار الآحاد، وذلك بالطبع يتطلب تعديل البنى الأصولية القائمة والاستعاضة عنها ببنى أصولية جديدة ترتكز أساساً على اليقين والنتائج المؤكّدة.

ولسنا بقادرين على غضّ الطرف عن تجربة فلسفة الفقه التي نادى بها الدكتور مصطفى ملكيان وأستاذنا الشيخ مهدي المهريزي رئيس تحرير مجلة علوم الحديث في إيران، وفكرة الفلسفة المضافة فكرة نشأت في الحقيقة في المناخ الغربي، وأريد لها دراسة المعرفة بعينها، وقد حاول أنصار فلسفة الفقه نقلها إلى المناخ الفقهي، داعين إلى علمٍ يدرس الفقه من الخارج وليس من الداخل، ويعني ذلك أن الباحث يعتبر نفسه خارج إطار الاتجاهات الفقهية السائدة، ويدرس الفقه بوصفه ظاهرة موجودة في الحياة الاجتماعية والعلمية، كما يعني بدراسة علاقة الفقه ببقية العلوم الدينية كعلم أصول الفقه وعلم الكلام، والعلوم الطبيعية كعلم الطب وعلم الفلك، والعلوم الإنسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس.

ومن أبرز تجارب هذا النوع من التجديد تجربة الدكتور عبد الكريم سروش، الذي كان عضواً في اللجنة المركزية للثورة الثقافية في إيران، فقد كتب في أواخر الثمانينات مجموعة مقالات في مجلة "العالم الثقافي"، ثم جمعها في كتاب أسماه "القبض والبسط النظري في الشريعة" وقد تمّت ترجمة الكتاب من قبل الدكتورة دلال عباس إلى العربية، وقد أثار هذا الكتاب ضجّة دامت أكثر من سبع سنوات متواصلة، فكتبت حوله مئات المقالات وعشرات المؤلّفات.

وتتلخّص نظرية الكتاب التي يطرحها سروش في أن كل العلوم البشرية مترابطة ومتداخلة فيما بينها تماماً كالسبحة في اليد، فعندما يحصل تغير أو تحرّك في أي من هذه العلوم، فإن ذلك يؤثر بصورة أو بأخرى على العلوم الأخرى، وأي علم يخضع لتطوير أو تغيير فمن الطبيعي أن يترك أثراً في بقية العلوم الأخرى. ومؤدى هذه النظرية أن تطور العلوم الطبيعية والإنسانية يجب أن ينعكس على الفقه والعلوم الدينية المختلفة، ليس بما ينسجم مع هذه العلوم بل بما يستدعي الاستجابة لتلك التطورات، وبالتالي فإن قراءتنا للدين سوف تتغير حسب التطورات العلمية المختلفة، والسبب في ذلك أن الفهم الديني فهم بشري يخضع في قراءته للدين إلى تلك المعطيات العلمية والفلسفية التي كان العقل البشري قد اختارها في مرحلة

سابقة، فكلما تحوّلت هذا المعطيات المسبقة كلّما تم فهم الدين فهما مختلفاً.

ويستشهد سروش بعدّة قضايا تاريخية يثبت من خلالها أن المعرفة الدينية نسبية بهذا المعنى، وأن كل إنسان يقرأ الدين وفق المناخ الثقافي الذي يعيشه، وهذا ما دفع بسروش فيما بعد إلى تكوين نظرية التعددية الدينية في المناخ الشيعي والتي أثارت زوبعة من النقد والدفاع.

وقد ردّ عليه كثيرون أبرزهم الشيخ صادق لاريجاني ـ عضو مجلس صيانة الدستور حالياً ـ فقد ألف كتاباً حمل عنوان "المعرفة الدينية" ترجمه إلى العربية الدكتور محمد شقير، يدّعي فيه أن هذه النظرية ليست بجديدة في الفكر الغربي.

ومن هذه التجارب، بل من أهمّها، تجربة الدكتور مصطفى ملكيان، لقد حاول ملكيان أن يدخل الدينَ من زاوية الإيمان لا الاعتقاد بفصله هذين المفهومين عن بعضهما البعض، لقد رأى أن المهم هو عين التجربة الإيمانية بما تعنيه من أحاسيس ومشاعر فيّاضة، وأنّ الاعتقاد يقف في الدرجة الثانية من الأهمية، واعتقد ملكيان بأن ثمّة ازدهار يتمتّع به الإيمان عندما يبدو في الأفق نوع من الفراغ المعرفي ويسود الشك واللايقين، وهو بذلك يُدخل نفسه فيما يسمّى النـزعة الإيمانية التي راجت في الغرب، وتكاد اليوم تسيطر على الفكر المسيحي المعاصر.

إلى غيرها من المشاريع الفكرية التي أسّست لعلم فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد، والفلسفة السياسية، والنقد الحضاري، إضافة إلى التيار النقدي في الداخل الشيعي المذهبي، والذي سعى لنقد الأصول الفكرية الشيعيّة مثل أبي الفضل البرقعي، وشريعت سنغلجي، ومصطفى حسيني طباطبائي، ومحمد باقر البهبودي وغيرهم، دون أن ننسى شخصيات ـ من مستويات مختلفة ـ ذات دور نشط، من أمثال سيد حسين نصر، وعبد الله جوادي آملي، ومحسن كديور، وعلي أكبر رشاد، وحسن يوسفي الأشكوري، وما شا الله شمس الواعظين، وحسين علي منتظري، وصالحي نجف آبادي، وجميلة كديور، وجعفر سبحاني، ومحمد علي

أيازي، وغلام رضا أعواني، وأبي القاسم فنائي، وعلي رباني كلبايكاني، ورسول جعفريان، وعلي رضا قائمي نيا، ومحسن الموسوي الجرجاني، وغلام حسين إبراهيمي ديناني، ويحيى يثربي، وعلي شيرواني، ومحمد باقر حجتي، ومحمد علي مهدوي راد، وعلي عابدي شاهروي، ومحمد رضا حكيمي صاحب المدرسة التفكيكية الخراسانية، وأبي القاسم كرجي، وناصر كاتوزيان، وشهرام بازوكي، وعبد الله نصري و..

التواصل بين الشعوب وضرورة نقل المشهد الثقافي:

تتنوّع الحياة في إيران، قبل الثورة الإسلامية فيها عام ١٩٧٩م، وبعدها، لكن البعد الثقافي تبقى له خصوصيته، سيّما وقد لاحظ الجميع بعد صعود الرئيس محمد خاتمي إلى السلطة، أن الحياة الثقافية تركت آثاراً كبيرة على خارطة البلد عموماً.

وللدين دور رئيس في صنع الحياة الثقافية في إيران، ليس اليوم فحسب، بل وعلى امتداد تاريخ إيران، سيما عقب نشوء الدولة الصفوية في القرن العاشر الهجري، وقد تضاعف هذا الدور بعد أحداث الحركة الدستورية (المشروطة) بدايات القرن العشرين، وبلغ أوجه مع الثورة الإسلامية التي قادها الإمام روح الله الخميني (١٩٨٩م)، بدءاً من الستينيات من القرن العشرين، بعد حركة الكاشاني ومصدّق في الخمسينيات منه.

من هنا، يأخذ رصد المشهد الفكري الديني في إيران حيّزه ومكانته من قراءة هذا البلد الإسلامي الكبير، سيما وهو يحدّ ـ تقريباً ـ شرق العالم العربي، إن قراءة المشهد الثقافي في إيران، سيمّا البعد الفلسفي والديني منه، بما للكلمة من معنى عام، حاجة لا يمكن الاستغناء عنها اليوم، لا على المستوى الإسلامي ولا على المستوى العربي، في عصر أخذت تتقارب فيه المتباعدات، فحريّ بمن يجمعهم الدين والجغرافيا والمصالح أن يتقاربوا، وهو ما لا يمكن أن يتمّ دون فهم كل

طرف لصاحبه، فهماً بعيداً عن الصراعات السياسية والطائفية والقومية و.. فهماً موضوعياً أميناً.. فهماً لا يعرف إرادة التسلّط على الآخر، والهيمنة عليه.

إنّ التقارب العربي ـ الإيراني في الدائرة الإسلامية الكبيرة، لا يمكن أن يتمّ دون تخطي حاجز رئيس هو حاجز اللغة، إن اختلاف اللغة يؤدي ـ كما حصل فعلاً ـ إلى قطيعة وجهالة، ويغيّب صورةَ الآخر أو يفسح في المجال لإعادة قراءتها قراءة أيديولوجية بغيضة، تستنفر الماضي وأحقاده، وتطالب بإنتاجه في الحاضر، بدل أن تستنفر الحاضر لتنتج منه المستقبل.

ونظراً لضرورة احترام اللغات ورفض الدعوة إلى إبادتها، كان من الضروري ـ للتوفيق ـ تنشيط جهاز الترجمة ليربط بينهما، ويمدّ حواراً بين الشعوب. إن نقل التجربة الإيرانية في الفكر الديني إلى اللغة العربيّة يفترض أن يُصاحبه نقل ـ على الطرف الآخر ـ للتجربة العربية في الفكر نفسه، وإحساسُ كل طرف بلا جدوائية نتاج الآخر، والانطواء داخل نرجسية الذات الواهمة، لن يؤدّي سوى إلى الاصطدام بالواقع عاجلاً أم آجلاً، وإذا كنّا نريد أن نترجم المشهد الفكري الإيراني فإننا نطالب المثقفين الإيرانيين بأن يعملوا على نقل المشهد الفكري العربي بأمانة وعدم بخسه حقّه، فهو ثريٌّ جداً، ولا تستغني عنه التجربة الإيرانية أبداً.

من هنا، جاء إحساسنا بضرورة المشاركة في هذه الخطوة، لكي نضيف لبنةً على ما أنجز، رغم ملاحظاتنا على بعضه، فكان مشروع مجلّة ((نصوص معاصرة))، الذي نقدّمة لقرّائنا العرب اليوم.

تجارب في نقل المشهد الثقافي الإيراني:

ولا يمكننا هنا أن لا نعرّج على ما سبق من تجارب في هذا المجال، سيما عقب انتصار الثورة عام ١٩٧٩م، وما قامت به المستشاريّات الثقافية والسفارات الإيرانية، وبعض المؤسسات داخل إيران مثل مؤسسة البعثة وغيرها من جهود ضخمة تستحقّ

التقدير والإجلال، وكذلك ما قامت به أطراف عربية من جهود من مؤسسات ومجلات ومراكز أبحاث، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، مع تقديرنا للجميع، مجلّةَ الحياة الطيبة، ومجلّة المنهاج، ومجلّة قضايا إسلامية، ومجلّة المحجّة، ومجلّة التوحيد، ومجلّة مختارات إيرانية، ومجلّة فقه أهل البيت ﷺ، ومجلّة ميقات الحج، ومجلّة بقيّة الله، ونركّز ختاماً على مجلّة قضايا إسلامية معاصرة التي يرأس تحريرها الباحث العراقي الأستاذ عبدالجبار الرفاعي، إذ لعب هذا الباحث ومجلته دوراً كبيراً - ينبغي احترامه وإجلاله - في نقل المشهد بجودة بالغة وأداء مميّز، هذا مضافاً إلى العديد من دور النشر البيروتية والمصريّة التي أسهمتْ بقوّة في هذا المجال.

إنّ هذه المؤسسات - الرسمي منها وغير الرسمي - قامت بدورها الفاعل منذ بداية الثمانينات، وعرّفت العالم العربي بما يجري في إيران ثقافياً، فلم يُعرف الشيخ مرتضى مطهري، ولا الدكتور علي شريعتي بوصفهما من أكبر المنظّرين الدينيين الذين عرفتهم إيران في النصف الثاني من القرن العشرين، إلاّ من خلال جهود هذه المؤسسات والأفراد العاملين فيها أو المتعاونين معها.

وإذا كنّا بصدد وضع ملاحظة على بعض هذه التجارب - لا جميعها - فإنّ أهمّ ملاحظة تعنينا، تتركّز في نقطتين متداخلتين مترابطتين:

الأولى: إن بعض هذه الجهود وغيرها دخل في السياق السياسي، ممّا أعاقه بعض الشيء عن القيام بدوره الفاعل المتكامل.

الثانية: إنّ بعضها مارس انتقائية نابعة من خلفية فكريّة مسبقة، مما جعله يجتزء المشهد، ويقدّم صورة مقتطعة، وأحياناً ممزّقة الأعضاء عنه، وأعتقد أنّ هاتين النقطتين أساسيّتان في مشروع نقل المشهد الفكري، ليس الإيراني فحسب، بل وأيّ مشهد فكريّ آخر، لكن من الضروري أن نقرأهما بواقعية جادّة، لا بتلك المثالية الرومانسية التي يعالج بها مثقّفنا العربي الصادق أمورَه، فلا تجده في نهاية المطاف سوى معذّباً محبطاً قنوطاً.

المشهد الثقافي بين التسييس والانتقائية :

أمّا فيما يخصّ النقطة الأولى، فالجميع يعرف في الثمانينات ظروفها والمقولات التي كانت مسيطرةً على التيار الثوري كتصدير الثورة وأمثال ذلك، فكان من الطبيعي للفريق المتعاطف مع هذه الثورة الفتيّة، والذي اعتبر أنّ آماله معلقةٌ عليها، أن يبذل قصارى جهده لنقلها لمجتمعه صافيةً أنيقة، مما يفرض تقدّم المصالح السياسية على الفكرية والعلمية، انطلاقاً من جعل المشروع جزءاً من سياسة عامّة، تنتمي ـ قبل كل شيء ـ للمنحى السياسي أكثر مما تنتمي للمنحى الفكري أو الثقافي.

إن العقل السياسي والحسّ السياسي الذي حكم رادة مشروع ترجمة المشهد الإيراني هو المسؤول ـ غالباً ـ عن ما حدث على مستوى النقطة الثانية، أي عن الانتقائية التي مورست، فقد بُذلت جهود لإقصاء علي شريعتي لصالح مطهري أو دستغيب، ولإقصاء مهدي بازركان وصادق هدايت وحميد عنايت لصالح جوادي آملي، ومصباح يزدي، ومحمد حسين الطباطبائي و...

كان هذا الأمر استدعاءً طبيعياً للمسار الفكري الذي قدّم السياسة على غيرها، فالأمر ليس مصلحيّاً، بل يكمن ـ في تقديري ـ في القراءة المعمّقة التي قدّمها الإمام الخميني للإسلام، سيما عندما أذاب التشريعات في إطار الفقه الحكومي، إنه ليس أمراً بسيطاً ولا عابراً، إنّما هو قراءة راديكالية جذريّة تقلب كلّ الموازين، وتخلق عقولاً ذات رؤى مختلفة ونظرات متنوّعة، وأفكار جديدة.

إذن، فالفكر السياسي الذي ظهر في نظرية الحكومة الدينية، كان المحرّك لمشروع نقل المشهد الإيراني، وكان من الطبيعي أن يقرّب ويبعّد، ويفترض أن لا نتوقّع منه غير هذا، فالقضية ليست في الأداء وإنما في المنطلقات الفكرية لهذا الأداء، كما أنّها تتبع بشكل رئيس سلّم الأولويات التي يضعها أصحاب المشروع أمامهم.

إنّ تسييس الفكر الديني ـ بالمعنى غير السلبي للكلمة ـ ينتج آليّات في العمل الثقافي تعيش في أفق المعرفة والثقافة حالةً من الصراع مع الآخر، وتكرّس أدلجة

المعرفة بصورة تلقائية، ممّا يفرض ـ ونحن هنا مجرّد موصّفين ـ أحياناً وبصورة منطقية، تبعاً لهذا التفكير المبدئي، إخفاء بعض الأوراق، أو طمر بعض الحقائق، أو تجاهل إثارة بعض الموضوعات الفكرية في مرحلة دون أخرى، لعدم وجود مصلحة في ذلك، أو نقد فكرة ربما تكون من حيث بنيتها الأولية صحيحة ومقبولة، لأن معنى الاعتراف الرسمي ثقافياً بها قدرة أطراف أخرى في الساحة السياسية على اكتساب ورقة ضغط معيّنة ضدّ الفريق الأول..

وهكذا نجد أن العقل السياسي ـ بهذا المعنى ـ من الطبيعي أن ينتج قراءة لآليّات العمل الثقافي تختلف عن القراءة التي ينطلق منها المثقف البعيد عن هذه الأجواء، والذي يرى أن همّه محصور في الفعل الثقافي، وأن عشقه للعلم لا للآثار التي تنجم عنه هنا أو هناك.

وإذا كان هذا الأمر مترقّباً أو مبرّراً في حقبة الثمانينيات وبعض التسعينيات، إلاّ أنّه اليوم بحاجة إلى إعادة نظر، في جدواه وفعّاليته، فهل في تجزءة المشهد خدمةً للمصلحة السياسية (الإسلامية)؟! وهل في تكريس انطباعات غير صحيحة أو غير كاملة بعبارة أدق خدمةً للمشروع الإسلامي؟! ثم، هل هناك جدوى من وراء هذه العملية أم أنَّ نتيجتها فقدان شرائح كبيرة في المجتمع عن أن تثق بنا وتنصت إلينا؟!

هل هناك معنى في عصر العولمة وانفجار المعلوماتية لممارسة انتقائية مفرطة وإقصاء مزيّف للفكر الآخر؟! وهل من الصحيح أن نصرّ على تطبيق منطق المؤامرة في ساحة الفكر والثقافة؟! أو نقل المشهد العسكري إلى المشهد الثقافي والعلمي؟! أو تحكيم الروح الحزبية في الفلسفة والعلوم، على حدّ قول غارودي؟!

أليس من الأجدى ـ وفقاً للنزعة الأيديولوجية نفسها ـ أن نقدّم للقارئ جرعات من اللقاح المشتمل على عيّنات المرض نفسه، لكي يقدر ـ بعد الاعتياد على مشاهدة مظاهر التنوّع الفكري ـ على ممارسة اختيار واعي للفكر الديني؟ أليس في ذلك ضماناً لتحسين نوعية الإيمان وإن كان فيه بعض الخسارات على مستوى

كميّة التدين والمتدينين في العالم؟! أليس من المفترض تقديم الكيف على الكم؟! ألم يكن الإنسان أفضل من الملائكة ـ كما يقولون ـ بالاختيار وانتقاء الصراط المستقيم من بين طرق الفساد التي كان بإمكانه سلوكها؟!

أليس في إنتاج عملنا الثقافي لمتديّن واعٍ ومطّلع على الأفكار الأخرى، بما فيها الأفكار الإلحادية، حصانةً داخليّة تتكاتَف مع عناصر الحصانة الاجتماعية؟! لماذا نسعى لإنتاج متديّن ينهزم بمواجهة مظاهر الانحراف بما فيها الفكري أو يرتدّ عصبياً يدمّر كل شيء من حوله، فلا يقدر على الصبر وتحمّل الآخر؟! كيف يمكن لهذه العينات المنتَجَة أن تستوعب زلازل العالم الفكرية والثقافية اليوم؟! كيف يمكنها أن تعيش أقليّةً في مجتمعات لا تعترف أكثريتها به؟! أم كيف يقدر على نشر فكره من هو محكوم بهذا الاضطراب العصبي؟!

أليس هناك فرق بين وسائل الإعلام ذات الطابع العلمي والتخصّصي وبين تلك العامّة التي تهدف الدعايةَ للباطل والفساد والانحراف؟! ألا تستحقّ وسائل النقل الفكري العلمي التخصّصي مزيداً من الحريّة مهما كان موقفنا من وسائل النقل العامة كالتلفزيون والصحافة العامّة و...؟!

هذه أسئلة واقعية جادّة، يؤسفني جداً أن أعترف بأنّها تعني عند فريق كبير منّا هرطقةً أو ترويجاً للضلال أو جزءاً من مؤامرة، أو جهالةً وحماقةً من قائلها على أحسن تقدير، لكن هذا في رأيي خطأ تاريخي، يفترض بنا أن نعيد قراءته في الموقف الفقهي مما يسمّى كتب الضلال، فهل ما قرأه الشيخ مرتضى الأنصاري (١٢٨١هـ) لا يمكن التمييز فيه بين الرؤية الفقهيّة الكلية التي تمثل وظيفة الفقيه، والأدوات الميدانية لخدمة الرؤية العامّة، والتي تتحرّك تبعاً لحركية الزمان والمكان؟ هل إحراق كتب الضلال هو السبيل الوحيد لمواجهتها؟ وأساساً بأيّ معيار يوزن الهدى والضلال؟

أسئلة تلحّ على الباحث الإسلامي للإجابة عنها، متعالياً عن الاجترار النمطي،

فاهماً ضرورات عصره، خادماً لمقاصد الشريعة غير واقف على أشكالها، متجاوزاً الاستنساخ الحرفي للتاريخ، وواعياً مضمونه وروحه ومحتواه أكثر فأكثر.

نحن نعيش اليوم في عصر يختلف تماماً عن عصر الشيخ الأنصاري، فضلاً عمن كان قبله، كان يمكن بإحراق ما يسمّى كتب الضلال وحجبها، الحدّ من تأثيرها، بل وقطع دابرها إلى غير رجعة، كان تشيّع الملك يؤدّي إلى تشيع الأمّة كلّها التي تقع تحت سلطانه، وكان تسنّنه يفضي إلى تسنّنها كذلك، كان هناك مجال لإغلاق الحدود، وعزل المجتمع عن غيره، أمّا اليوم فإنّ الأمر يختلف تمام الاختلاف، ولا نريد أن نكون إطلاقيين، فنحن لا ندعو ـ فعلاً ـ للسماح بكل فكر أو عقيدة أن تنتشر، وإنّما نتحدّث عن القاعدة العامّة التي تحتمل استثناءات، يفترض بها أن لا تأتي على القاعدة فتجرفها وتزيلها ـ عملياً ـ من الجذور.

إن قصدنا ممّا نقول أن نقرأ تجارب غيرنا، ونستفيد من التاريخ، لوضع خطط وأساليب أكثر نضجاً وحيويّةً وديناميّة، إنّ الواقع اليوم لم يعد يحتمل عزل مجتمعات، أو طمر حقائق بمستوى أمم وجماعات كبيرة، فمن الأفضل لنا أن نتخذ سياسةً مختلفة إزاء الفكر الآخر الذي لا نتعاطف معه، ولا نؤمن بمقولاته، لأن هذه السياسة لن تنفع على المدى البعيد، ولنا في التجربة الماركسية، وقبلها التجربة الكنسيّة في الحقبة القروسطيّة، خير شاهد، ينبئنا عن ضرورات تغيير أدائنا، خدمةً للمصلحة الإسلامية التي نعمل جميعاً لها.

على أيّة حال، لسنا هنا بصدد الحكم الفقهي أو غيره على موضوع مازال حتى اليوم شائكاً في أوساط المؤسّسة الدينية، لم تظهر له معالم جلية إلاّ في سياق النمطيات التاريخية.

إنما يعنينا ممارسة نقد ميداني لهذه التجربة بهذا النمط الذي سارت عليه، لقد لاحظنا مفاجأة وقع فيها الكثيرون عندما انجلى الجزء الآخر من الصورة، فكان للكثيرين صدمة، ما لبث أن تحوّلت لدى بعضهم إلى نكوص وانسحاب بل

غضب وانتقام، لقد خسرت الساحة الإسلامية بهذه العمليات غير المنطقية الكثيرين، وما تزال، ولو أننا كنا وما نزال شفّافين في عرض صورنا وأفكارنا ورؤانا، لا نتعامل مع الفكر بحسّ أمني استخباراتي، لاختلف الوضع كثيراً، ولربما تجاوزنا الكثير مما بات يمثل لنا اليوم مشكلةً أو أزمة.

إنّ هذه الحقيقة مرّة للغاية، ومؤلمة حتى النهاية، ونحن لا نقولها إلاّ من لوعة قلب محترق، لكنّها حقيقة حاسمة من وجهة نظرنا على الأقل.

ولسنا ننحاز هنا ـ والله الشاهد ـ لفريق ضدّ فريق، بل نرفض أشكال الأداء الإقصائي الذي مارسته الأطراف كافّة، لقد كان ظلماً أن يُحكَم على مثل مصباح يزدي بأحكام قاسية لاختلاف البعض معه في آراء فكرية وتصوّرات، تماماً كما كان ظلماً أن يكفّر أو يضلّل شريعتي لاختلافه في بعض وجهات النظر مع المدرسة الرسمية الدينية، إنّه لمن الظلم حقّاً أن يستهزئ بنتاج أمثال جوادي آملي فقط للتحسّس من لغته ومنطقه، تماماً كما كان ظلماً أن يغيّب فكر مهدي بازركان لأجل الخلاف السياسي معه، إنّ المطالبة باستحضار أفكار شخص ليس تصديقاً له بل هو اعتراف بحقه في أن يحيا في دنيا الفكر والثقافة والأدب، ولا تعنينا فعلاً دنيا السياسة.

إنّ بعض مشاريع نقل المشهد الثقافي الإيراني تعرّض أصحابُها لظلم وإجحاف ليس لأنّهم حصروا نقلهم للمشهد بتيار دون آخر، بل لأنّهم أشركوا التيارات الفكرية كافّة، فبدل أن يشكروا على جهدهم الطيّب هذا لم يلاقوا سوى اللوم والعتاب والتضييق، وكأن الكثيرين لا يعتقدون في الفكر سوى بأفكارهم ولا يرون حرمةً حتى للتنويع فضلاً عن الانحياز للآخر، وهي مشكلة جوهرية، كلّي اعتقاد بأنّنا بحاجة ـ مع كامل الأسف ـ إلى وقت طويل على ما يبدو لكي نفهم أن عرض البضائع كافّة هو ما يخدم الحقيقة، وأنّ احتكارها قد يوهمنا بالنصر ويمنحنا نشوتَه لكنه سرعان ما سيرتدّ علينا عاجلاً أم آجلاً.

إنني أدعو العلماء والفقهاء والكتّاب لإعادة فهم هذا الموضوع، وعدم التذرّع

بمثل الغيرة على الدين و.. للقيام بما قد لا تكون عاقبته خدمةً لهذا الدين، الذي نعمل جميعاً ـ بحبٍّ وإخلاص ـ لكي نخدمه ونخدم أمّتنا به.

إن ردّات الفعل القاسية من جانب التيار الديني صنعت بنفسها عظماء في الطرف الآخر، فكم مرّة طبعت كتب الدكتور نصر حامد أبو زيد بعد حكم المحكمة؟! وكم مرّة طبعت كتب الدكتور عبدالكريم سروش بعد الأحداث التي وقعت معه في التسعينيات من القرن العشرين؟! هذا درس للجميع ليعرفوا أنّ القوّة هنا للفكر والمنطق والقلم والكلام لا غير، ماذا نفع التهويل في بعض أغنيات مرسيل خليفة إلا تنفّر الشباب من الدين؟! وماذا حقّق تكفير نوال السعداوي وفاطمة المرنيسي؟!

نعم، صحيح أنّ هذا الجوّ يمكنه أن يشكل سياجاً يحمي بعض الناس من الانجراف الفكري وفق تصوّر من يحارب هذه الأفكار، وصحيح أنّ هناك نتائج إيجابية تحقّقت بالتضييق على الكثيرين من أصحاب الأفكار الضالّة والمنحرفة بحسب التعبير الديني، لكن الأمر في مثل هذه القضايا لا يقاس بالأيام ولا بالسنوات، بل يقاس بالحُقب الزمنية وبالأجيال.

ألم تتعاطف الكثير من الجماهير مع من قُمع ثم مات مقموعاً؟!! وأخذت تحيي ذكره وفكره..، ألم تغدو الكثير من الأفكار التي كانت المؤسّسة الدينية تحاربها جزءاً من تفكير هذه المؤسسة اليوم؟! فليُقرأ التاريخ! ولينظر ما فيه! لنعرف أنّ من كُفّر أو ضُلّل أو تمّ التعامل معه بهذه اللغة كيف سرت مقولاته إلى عمق الجهاز الديني نفسه ولاقت ترحيباً كبيراً؟! ألم يُلعن مرتضى مطهري على مشروعه في نقد السيرة الحسينية؟! ألم تُنظم الأشعار في محسن الأمين ثم انكشف للكثيرين منّا صوابها وجدوائيّتها بعد نصف قرن؟! ألم يتعرّض المغيّب موسى الصدر لنقد لاذع من التيار الديني الكلاسيكي في بلاد الشام ثم ما لبث أن تحوّل إلى رمز؟! ألم يوصف الإمام الخميني بالماركسي أو الجزّار ثم اختلفت لدى الكثيرين المفاهيم؟!

لست أجمع بين التنوير والتزوير ـ كما يعبر الدكتور محمد عمارة ـ بل أقصد أن الاستعجال في رفض الفكر الجديد ليس صواباً دائماً وأن فرصة الآخر يجب أن لا نحرمه إياها ما دام منطلقاً من فكر ومنطق، لا من سلاح وقمع وإرهاب وتقتيل، أو تجديف وسخرية واستهزاء غير أخلاقي كما حصل مع بعض الروايات الأدبية وغيرها، التي لم تحترم المشاعر الدينية الصادقة والأحاسيس الإيمانية المرهفة والأوّليّة.

يفترض أن تكون صدورنا أكبر من ذلك، وأن لا يحكمنا الانفعال من قراءة فكر الآخر، وأقول هذا للأطراف كافّة لا أستثني أحداً، بل نتعامل معه فكراً يستحقّ الدرس والتأمّل، ولنا كامل الحقّ في نقده وتفنيده، بأسلوب علمي رصين، فلا أحد مصان عن حقّ النقد العلمي الثابت للآخرين، ومكانتُه الدينية أو الفكرية لا تحميه من ذلك، فالجميع خاضعون لنظام النقد والمساءلة، لا تعفي أحداً خصوصيةٌ أو ميزة، وإن كنّا نجد مع الأسف أن بعض كتّابنا المحدثين يسارعون إلى اتّهام من ينتقد أفكارهم التجديدية بالتخلّف والرجعية، وكأنهم وحدهم معيار التقدم والحداثة، كما نجد ـ مع الأسف أيضاً ـ أن بعض علماء الدين أو حتّى المرجعيات الدينية تسارع إلى اتّهام منتقديها بالكفر أو الضلال أو العمالة أو.. وكأن هذه المقولات تمثّل لديهم سياجاً يمنع عن نقدهم، ويحميهم من سياط المساءلة.

من هنا، نتصوّر أن نقل المشهد الثقافي الإيراني بأجزائه بات حاجة ماسّة، لكل من يريد دراسة هذه التجربة والاستفادة مما فيها من عناصر الضعف والقوّة، ولذلك نحن عازمون هنا على نقل هذا المشهد بالمقدار المتوفّر لنا، مما نقدر عليه، أو نستطيعه، متجاوزين مقولة الترويج المذكورة، لأنّ إفساح المجال للخطأ قد يكون هو الأجدى ـ على المدى البعيد ـ لاستبعاده، لا قمعه وإبعاده.

بين الواقعيّة والمثالية:

لكن لكي نكون رساليين من جانب آخر، وواقعيين أيضاً، يجب أن نصارح قارئنا، بأنّ المشهد الثقافي الإيراني لا يمكن نقله بأجزائه جميعها، فهناك نتاج

إيراني لم يسمع به جمهور العرب يتجاوز الخطوط الحمراء الدينية حتى عند أكثر التيارات اعتدالاً وانفتاحاً، كما يحرّك الأحاسيس عند باردي العقل وهادئي النفس، ومن ثم يكون نشر هذه المفاهيم أكبر من قدرة أي طرف فيما نخمّن، سواء كانت قناعتنا ترحّب بنشرها أم ترفض، مما يجعل العرف هنا أقوى من القانون، ومن ثم قد يقضي على المشروع كلّه.

لكنّنا سوف نعد القارئ بالسعي قدر الجهد والمكنة لتحقيق ما نصبو إليه من نقل المشهد الثقافي، ونعلمه سلفاً بأنّ هذه المجلّة لن تكون متحيّزة لطرف معيّن، لا لأنّها لا أبالية ومتحلّلة والعياذ بالله، بل لأنّها تحتفظ لنفسها بقناعاتها، وتنشر المشهد بأمانة، حتى لو احتوى ما تنشره ما لا تؤمن هي نفسها به.

وتتعهّد المجلّة لقرّائها من الآن، إن كُتب لها الاستمرار والدوام بعون الله، أن تفي بوعدها هذا ولا تتحيّز، فليس هدفها الترويج لهذا الفكر أو ذاك، وإنما نقل المشهد إلى العالم العربي، خدمةً، قبل كل شيء، للأمّة كلّها، وأملاً في أن تساعد هذه الخطوة على توحيد صفوف الأمّة، ومعرفة بعضها بعضاً، فإن التقارب الإيراني ـ العربي، سيما الإيراني ـ السعودي، والإيراني ـ المصري، كفيل ليس فقط في تضامن المسلمين، بل وفي تذويب الفتن الطائفية والأحقاد المذهبية التي تأكلهم، إن شاء الله تعالى.

إنّنا نرحّب بكل تقارب عربي ـ إيراني، كما نرحّب بأيّ تقارب عربي ـ عربي، ونضّم صوتنا إلى دعاته أينما كانوا، لأننا نرى في ذلك خدمةً للإسلام والمسلمين، وقوّةً لأمتنا في وجه الطامعين فيها، سيما الكيان الصهيوني الغاصب.

إنّ ما نشاهده اليوم من دعوات متبادلة ـ معلنة وغير معلنة ـ للفرقة والتمزّق والطائفيّة، وما نحن قلقون عليه من الوضع القائم في العراق الجريح، ليحدونا أكثر فأكثر لتضافر الجهود، وتوحيد الكلمة، وتعزيز أسس التعاون، وإرساء قواعد للتفاهم المنطقي السليم، في دنيا لم تعد تحترمنا ما دمنا ممزّقين ضعفاء، ولا تقدّرنا

ـ وإن كنّا ما كنّا ـ ما دمنا مشتتين غرباء عن بعضنا بعضاً.

حول نصوص معاصرة:

ونحب هنا أن نضع القارئ الكريم في صورةٍ موجزة عن ((نصوص معاصرة)) ضمن نقاط:

١ ـ إنّ مجلّة نصوص معاصرة، تهدف إلى نقل المشهد الفكري والثقافي الديني المعاصر في إيران، من هنا لا يعنيها المشهد الفكري غير الديني، بل تدعو إلى إنشاء مجلات أخرى تُعنى به، وربما عملت المجلّة على نقل بعض ما يتعلّق بما يخرج عن الدائرة الدينية، لمناسبةٍ ما أو خصوصية معينة.

٢ ـ يختصّ اهتمام المجلّة بالفكر المعاصر، ونقصد به هنا منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين تقريباً وحتّى اليوم، ونركّز على ما بعد انتصار الثورة الإسلامية، نظراً لأهميّته، وقد نخرج عن هذه القاعدة لبعض الضرورات والمناسبات والاعتبارات.

٣ ـ ابتعاداً قدر الإمكان عن تكرار الجهود، ستسعى المجلّة إلى عدم ترجمة ما تمّت ترجمته حتّى الآن، ونُشر في مجلّة أو صحيفة أو كتاب، إلاّ عندما لا يطلع طاقم المجلّة على نشر الدراسة المنشورةً سابقاً، أو يرًى أخطاء فادحة في الترجمة السابقة تستدعي إعادة ترجمة النص مرّة أخرى، أو يكون نطاق نشر النص المنشور ضيقاً جداً بحيث يكون هناك ما يبرّر منطقياً إعادة نشره على نطاق واسع.

٤ ـ تهتمّ المجلّة بمشاهدة القارئ العربي للنص الإيراني مترجَماً، من هنا تقتصر جهودها على الدراسات التي قام بها كتّاب إيرانيون، سواء كانت منشورةً باللغة الفارسية أم بالإنجليزية أم بغيرهما، ما دام الكاتب إيرانياً، وهي ـ من هنا ـ تعتذر عن نشر أي دراسة للكتّاب العرب أو غير الإيرانيين، انطلاقاً من سعيها للتقيّد بهدفها الذي رسمته لنفسها.

٥ ـ نظراً لتنوّع الموضوعات الدينية المتناوَلة في الساحة الإيرانية، من الفلسفة، والكلام، والمنطق، والفقه والقانون، والأخلاق، وأصول الفقه، وعلم الدراية والحديث، وعلمي الرجال والتراجم و.. ستسعى المجلّة، قدر مُكنتها، لتنويع دراساتها المترجمة بحيث تطاول الموضوعات المشار إليها، ونظراً لمحدودية صفحات المجلّة، وكونها فصليةً، لا شهرية ولا أسبوعية، سوف نسعى إلى انتقاء المقالات الدالّة.

ولا نعني بالمقالات الدالّة، الأقوى والأمتن من الناحية العلمية، بل قد نترجم دراسات من الدرجة الثانية أو الثالثة، لتكون صورة المشهد أكثر اكتمالاً أيضاً، فليس هدفنا إلاّ نقل المشهد بالمقدار المتسنّى لنا، وإن كان نقل المشهد كاملاً يحتاج إلى مؤسّسات ضخمة تتجاوز ليس مجلّة واحدة بل عشرات المجلات.

من هنا، نستغل الفرصة لنوجّه دعوةً إلى كل من يمكنه فعل ذلك، لإنشاء بنك ترجمة مدعوم، مهمّته تكديس الدراسات المترجمة، ثم توزيعها مجاناً أو بقيمة رمزية على الصحف والمجلات في العالم العربي، وبحسب اطلاعي، فإن هذا الأمر ممكن عندما يتم تشكيل لجنة أو مؤسّسة للمترجمين الدينيين، يعنى قسم منها بالترجمة من الفارسية إلى العربية، ويضمّ مختلف المترجمين المتخصّصين في هذا المجال.

لا بل إنّنا ندعو إلى مؤتمر أو ملتقى الترجمة الدينية، لتدارس مشكلات هذا النوع من الترجمة وأزماته، وسبل التنسيق بين المترجمين الفاعلين، للبلوغ بالعمل أقصى نقطةً ممكنة.

وإذا لم يكن هذا الأمر متوفراً، فإن الحد الأدنى الذي يمكن لنصوص معاصرة أن تقوم به هو أن تدعو النقّاد لمراسلتها، وإتحافها بكل ما لديهم من نقد فني أو مضموني أو غيرهما، ذلك كلّه يساهم ـ بالتأكيد ـ في ترشيد الجهود، فما المعصوم إلاّ من عصمه الله تعالى.

٦ ـ انطلاقاً من النقطة الخامسة، ستركّز المجلّة ـ إن شاء الله تعالى ـ على

الدراسات المثيرة للجدل، وستعرض وجهات النظر كافّة قدر الإمكان، لذا فهي تأمل من قارئها أن يتعامل معها بصدر رحب وروح رياضية مرنة، ويعذرها حيث يمكن العذر، فإن المسلم من شأنه أن يعذُر أخاه المسلم، وإذا ما أخطأ أحد نتيجة اشتباه، فلا تثريب عليه، إذا كان صادقاً بينه وبين نفسه، مخلصاً نيّته لربّه تعالى، هادفاً ثوابه، مشفقاً من عقابه، وإنّي لأرجو الله سبحانه أن أكون كذلك، وأن أخدم بهذا الجهد المتواضع، فكرنا الإسلامي الذي يحتاج ـ فيما أراه ـ إلى النهوض أكثر فأكثر.

٧ ـ لن تتّبع مجلّة ((نصوص معاصرة)) سياسة المحور الواحد دائماً؛ لأنّ ذلك ـ بعد الدراسة والتأمّل ـ قد يعيق نقل الصورة كاملةً أحياناً، لهذا ستبذل جهدها للتنويع، فلعلّ قارئاً لا يعنيه محور أو علم أو اختصاص بقدر ما يعنيه غيره، ولعلّ في التنويع فسحةً للقرّاء حسب تنوّع أذواقهم وميولهم الفكرية والثقافية.

٨ ـ من الطبيعي أن يكون العقل المذهبي جزءاً من الوعي الإيراني عموماً، وهذا معناه أننا ملزمون بعرض بعض مشاهد التفكير المذهبي في إيران، وإذا ما لزمنا ذلك، فإننا متأكدون من أنّ انزعاجاً متعدّد الجهات سوف يظهر، ولكي نزيل أيّ التباس من طرفنا نؤكّد من البداية أننا لا نريد الترويج العقدي لأي مذهب، كما أننا لا نريد القدح في أيّ مذهب، سواء عرضنا الأفكار النقدية على المذهب الشيعي في إيران أو تلك الداعمة له والمحسوبة على تيار الإفراط في نظر الكثير من المسلمين، من هنا ندعو قرّائنا الأعزاء لكي يتعاملوا مع وظيفة مجلة نصوص معاصرة تعاملاً يعي أنّها لا تهدف الترويج بقدر ما تهدف نقل المشهد كما كرّرناه مراراً.

٩ ـ إنّ مجلة نصوص معاصرة غير ملزمة بأيّ من المقالات المنشورة فيها، بما فيها كلمة تحرير المجلة، فإنها لا تمثّل إلا كتّابها فحسب.

وأخيراً نأمل من الدول الإسلامية العربية وكذلك الجمهورية الإسلامية الإيرانية أن تتعاون مع المجلّة، لمزيد من التقارب الإيراني ـ العربي، بما يسهّل إصدارها ونشرها، شاكرين للقيّمين على العمل الثقافي في إيران والعالم العربي تعاونهم في

ذلك، فلله درّهم، وعلى الله أجرهم.

هذا، والله سبحانه وتعالى نسأل أن يلهمنا الصواب، ويجعلنا من صالحي العباد، ويغفر لنا تقصيرنا، ويعيننا على خدمة أمّتنا، فنقوّي شوكتها، ويعتزّ بنا أمرها، إنه نعم المولى ونعم النصير.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: ٣٩)[١].

---

(١) المصدر: مجلة نصوص معاصرة، العدد الأول شتاء ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥.

المقالة الثانية لداعية التغيير والتجديد حيدر حب الله:

ورقة عمل

تهدف هذه الورقة إلى تقديم مقترح جادّ، تستدعيه ـ في نظر الكاتب على الأقل ـ حاجات ملحّة وضرورية، وسأحاول أن أوجز النقاط وأكثف النص؛ ليكون مادةً للتدارس فيما آمله ، وورقة أولية يمكن أن تتلوها أوراق، وإنني أدعو ـ سلفاً ـ كلّ العلماء والباحثين والناقدين للتعليق على هذه الورقة بمختلف أشكاله، ضمن حدود البحث العلمي والأخلاقي وضوابطه.

وأشير سلفاً إلى نقاط: أولاً: إذا كانت الورقة توحي أنها خاصّة بالمشهد الشيعي، فهي لا تريد هذه الخصوصية، وإنما تطمح لدائرة أوسع، والسبب في الخصوصية الشيعية أنها تريد أن تنطلق من الدوائر الضيقة بعيداً عن الانفلاش، فإذا نجحت كان بالإمكان توسيع الدائرة، أو تلاقي الدوائر.

ثانياً: لا تنكر الورقة جهد أحد، ولا تفترض ـ سلفاً ـ عبثية الآخرين، بل تسعى لظهور مناخ جديد؛ انطلاقاً من ملاحظاتها الخاصّة على الوضع القائم.

ثالثاً: الورقة معنيّة ـ بالدرجة الأولى ـ بالملفّين: الثقافي والاجتماعي؛ لذا فهي لا تستهدف الحياة السياسية، لكنها لا تنفصل عنها.

رابعاً: الورقة غير خاصّة بالمؤسّسات الدينية، بل توجّه خطابها إلى شرائح المجتمع بأقطابه: رجال الدين، المثقفين، رجال الإعلام، رجال النفوذ الاجتماعي، رجال المال ..

خامساً: تتركّز الورقة على الوضع العربي؛ لهذا لا تعنيها ـ فعلاً ـ الساحات: الإيرانية، الأفغانية، الهندية ..

١ ـ لا شك في وجود خارطة للمشهد الشيعي المعاصر سواء في شقه العربي وغير العربي، وهناك قوى وجماعات ذات نفوذ، تتقاسم المجتمع الشيعي، وتختلف بدورها في الأفكار والتصوّرات اختلافاً كبيراً تارةً ومحدوداً أخرى، كما تتنوّع أسباب الاختلاف من فكرية، وسياسية، واجتماعية و ..

وداخل هذا الوضع ثمة تيار ثالث يتمثل في عناصر ممزقة متفرّقة مشتتة ـ طبعاً بحسب تقييمنا لها ـ لا يجمعها سوى اللقاء الفكري، تدعو للتغيير المجتمعي والنهوض بالحياة الشيعية نحو الأفضل، والتغيير لا يعني قلب الصورة بنسف ما مضى، بل إن المراكمة عليها وإضافة أجزاء ناقصة يمكنه أن يحقق مطلباً كبيراً، ويتمثل هذا الفريق بمجموعة من رجال الدين والمثقفين والجامعيين وبعض رجال النفوذ الاجتماعي وأصحاب المال والإعلام و..، ولهذه الفئة شيء من الحضور النخبوي في المنتديات الفكرية، وفي الإصدارات الدورية الثقافية، كما لديها بعض الارتباط العضوي المحدود، وقد برز من بينها بعض الشخصيات الدينية وغيرها، لكنها ـ رغم حضورها ـ لا تبدو تياراً ثالثاً قادراً على إيجاد تماسك داخله؛ للنهوض بمشروع كبير.

دعوتنا هنا هي: أين أنتم أيها الناقدون لمحيطكم؟ أين حضوركم؟ إلى متى سنبقى في ظلّ حركات نقدية نخبوية ممزّقة لا تستطيع التأثير في المجتمع؟ لماذا هذا الغياب الاجتماعي أو بتعبير أدق: الموت الاجتماعي، إن دعوتنا تقوم على تلاقي، دعونا نتلاقى في مؤتمر، في لقاء، في تجمّع، علني أو غير علني، كيفما شئتم، وضمن أيّ صيغة ارتأيتم، نعصف أفكارنا للوصول إلى تكوين خطاب هادر، قادر على أن يثبت ذاته، ويتحوّل بالفعل إلى تيار ثالث، لا تحكمه عقلية حزبية أو أفق ضيّق، بل تهيمن عليه هموم العصر وحاجات النهوض، ويؤرّقه التساؤل التالي: أين هو الدين في عصرنا؟ وكيف يجب أن يُمارس؟ ..

إذن، دعوتنا الأساسية في مؤتمر كبير تجتمع فيه الأطراف المستنيرة الناقدة لواقعها، لكي يكون خلاصاً لها من عقدة النقد الصرف، فيدخلها دائرةَ تحمّل

المسؤوليات، والإحساس بالذات والكيان الجمعي أكثر من الإحساس بالآخر، وهو لقاء لا يحصل مرةً ثم يموت، بل يفترض أن يتواصل على الدوام دورياً؛ لتبادل الآراء، ونقد الذات، وتقويم الأداء.

٢ ـ ولكي ينجح هذا الملتقى ـ بأيّ شكل سهّل أمره ـ لابد من ورقة أساسية يقوم عليها، ويفترض بهذه الورقة أن تركّز على بناء الذات لا هدم الآخر، أي أنّ ملتقى الإصلاح الشيعي لا يريد تدمير تيارات قائمة، بل يريد أن يصبح كياناً من بينها، له وجوده كجبهة موحّدة، لا مجرّد أفراد مهما كثُروا وبرزوا لن يخرجوا ـ غالباً ـ عن أطر الشخصانيات، سيما داخل المؤسّسات الدينية الكبرى، فالموضوع موضوع جبهة تعمل ضمن خطّة مدروسة، وعلى أكثر من صعيد، فبين التغييريين الشيعة اليوم، علماء دين، ورجال مال، ورجال إعلام، وكتّاب، ورجال سياسة، ورجال فكر وثقافة، ورجال أدب وفن .. لكنهم لم يلتئموا ليشعروا بأنهم قوّة واحدة متماسكة لها مشروعها الفكري والاجتماعي والتربوي والإعلامي، هذا الإحساس الهامّ، حسّ الجماعة، أساس لخلق مشاريع لا يمكن أن توجد دونه مهما كثر عدد الأفراد وعظمت إمكاناتهم، هذا الشعور ضروريّ للغاية لتكوين جبهة قوية تأخذ بزمام الأمور ما أمكنها، فإذاً نريد أن نبدي ذاتنا في الاجتماع السياسي والثقافي و.. فنحن موجودون، لكننا غير بادين بالشكل المطلوب، وليس من الضروري أن نكون خارج الجماعات كافّة، بل من المنطقي ـ وفق طرائقنا التعدّدية في التفكير ـ أن نتواشج معها، فلسنا تنظيما حزبياً ولا مشروع سلطة سياسية، بل كيان من الرؤى والأفكار الناهضة التي تجمعها مقولة التغيير نحو الأحسن وفق ما تراه.

٣ ـ ومن أهمّ خطوات هذا المشروع ـ كي لا يبقى في إطار نخبوي، ذاك الإطار الذي قتل الإصلاح الديني في الشرق ـ تأسيس مشاريع إعلامية، تصنع الرأي العام، فهناك حاجة كبيرة جداً لفضائية تغييرية، ما تزال مفقودة حتى اليوم، تخرج عن أشكال الرتابة القاتلة في الإعلام الديني، وتضع ثقافةً جديدة من الرأي والرأي الآخر داخل الحياة الشيعية، إن الجميع يعرف أن ظهور الفضائيات العربية

منذ تسعينات القرن الماضي أحدث تحوّلاً في الثقافة العامة، فالكثير من المسلمين لم يكونوا ليسمعوا سوى صوت السلطة وإعلامها، إن ظهور الرأي الآخر ـ وسط جدل ـ يمكنه أن يغيرّ نمطية العقل الديني في الوسط الشيعي، ويدخله في سياق جديد، يثير فيه كلّ المعطيات الحديثة، ويعمل على إعادة إنتاج الفكر من جديد، بعيداً عن أجواء الرتابة والخطاب الإيقاعي المكرور دينياً.

ليست الفضائية ضرورةً فحسب، بل الصحيفة، فثمّة العديد من المجلات ـ مع الكتب ـ التي تخاطب النخب والمثقّف، لكنها محدودة الانتشار على أيّ حال، متباعدة الفترة، لا تصنع رأياً عاماً، بل تكوّن نخباً مثقفة، وهذا عمل طيّب وجدير بالشكر والتقدير، إلاّ أن الصحافة أمر آخر، مختلف تمام الاختلاف، لماذا لا يملك الإعلامي الديني حتى اليوم صحيفة يومية في العالم العربي ـ إلاّ ما شذّ وندر في بعض المناطق ـ تُعنى بالفكر والفنّ والأدب والسياسة، ويكون لها رأي في هموم الناس، وإذا كنا لا نحبّذ لحركة الإصلاح أن تتحوّل إلى حزب أو منظمة، فإن الصحيفة بإمكانها تشكيل ما هو في قوّة حزب أو منظمة، بمعنى أن بإمكانها صنع جمهور خاصّ بها، ولا أجد نفسي بحاجة إلى تضييع الوقت في شرح تاريخ الصحافة وتأثيرها في الرأي العام، لكي أؤكد على مدى أهمية هذا المشروع في بلادنا العربية.

٤ ـ وإذا كانت الصحافة والفضائية والإذاعة و.. باهظة الأثمان والتكاليف، فإن هذا ما يستصرخنا لتكوين (لوبي) مال متدين قادر ـ بتعاضده ـ على دعم مشاريع من هذا النوع، إن هذا الموضوع من أكبر الموضوعات حساسيةً وأهمية، يجب أن لا نتناسى أننا نعيش في عالم تلعب القوّة المالية فيه دوراً بارزاً؛ لهذا يفترض تأسيس صندوق، أو خلايا، أو كتل مالية متعاونة، لدعم مشاريع نهضوية، كتلك التي أشرنا لها آنفاً، وما لم يتدارس أصحاب رؤوس الأموال في هذا الأمر ويضعوا خطّةً تنسجم مع أحوالهم المادية الخاصّة، بدل هدر الأموال الشرعية على بعض الصعد ـ مع الإقرار بالدور الإيجابي الهائل على صعدٍ أخرى ـ فلن يمكن

القيام بأيّ مشروع للتغيير.

٥ ـ ومن منطلق الحرب الاقتصادية يأتي دور الدعم المادي المتبادل، فعلى جماعات التغيير ـ بما عندها من رؤوس أموال ومواقع اقتصادية ـ أن تفكّر جيداً في موضوع الدعم الذي يفترض أن يطال أولئك المستفرَدين من أبناء هذه الطائفة، بجُرم الرأي والفكر والعقيدة، فعندما يشعر أبناء هذه الطائفة من أصحاب الرأي أنهم محميّون في حياتهم المادية فإن بإمكانهم الانطلاق، يجب أن لا نستخفّ بهذا الأمر، ففي حدود اطلاعي ثمة أعداد كبيرة ذات رؤى، لكنها مقموعة داخل هذا الوضع المادي الضاغط، والتفكير معها في صيغة أمر ضروري.

٦ ـ وليس مطلوباً أن تكون الصيغة صدقةً أو حسنة والعياذ بالله، بل تكوين مراكز أبحاث، ومؤسسات علمية وتربوية وخيرية، ومعاهد تحقيقات، وجامعات دينية، يمكنها أن تجمع كلّ هذا الشتات المغلوب على أمره، فيعيش من كدّه، بدل ثقافة السؤال والتذلّل للأغنياء، أو الوقوف على أبواب أصحاب المال.

٧ ـ ولا يقف الدعم المتبادل عند الحدود المادية، فعلى كلّ واحد أن يدعم ـ إعلامياً وفكرياً ـ الآخر، بغية تكوين رجال نافذين، ووجوه لامعة في الأوساط الدينية الجديدة، إن غياب الوجوه البارزة، وفقدان كاريزمات الكبار يشتّت العمل، شريطة أن لا نتورّط في صنع أصنام جديدة، فنكرّر أخطاء من مضى.

يمكن للصحفي أن يغدو جسراً لكاتب، ويمكن لرئيس تحرير مجلّة أن يغدو معبراً لصنع كتّاب ومنظرين ـ إعلامياً ـ هذه الخدمات المتبادلة يمكن أن تقوّي الأطراف كافّة، وتصنع وجوهاً جديدةً في الساحة، وكلّي إيمان أن هناك الكثير من الطاقات المستعدّة القادرة على فعل شيء في أوساطنا الدينية، كلّ ما في الأمر أنها تحتاج لتأمين معابر لها؛ كي تستطيع ـ من خلالها ـ أن تقدّم ما يمكنها من خدمات، وعلى أصحاب القدرة والاستعداد تقديم خدماتهم للجهات الأخرى القادرة على أن تستفيد منهم لصنع واقع جديد.

٨ ـ وإذا أرادت الحركة التغييرية أن تعيد صنع العقول وتكوين الرأي العام، فيجب أن تخرج عن منطق الوصاية والتلقين، ومن ثم نحن بحاجة إلى رموز رسالية تعيش مع الناس وتعاني همومهم، إن علماء الدين ـ والحمد لله ـ أثبتوا بمرور الزمن جدارةً عالية على هذا الصعيد ـ طبعاً فريق منهم ولا أزعم جميعهم ـ فعلينا أن لا نجحف أحداً حقه، فالإنصاف سيّد المواقف، ومعنى ذلك أن من المفترض النزول من أبراج الثقافة العالية، وصالونات الفكر المخملية؛ للتواصل مع الناس قدر الإمكان، لا أقلّ من تنويع الأدوار، وعدم الإصابة بمرض الغرور والنرجسية الذي ابتلي به مثقفنا الديني غالباً، فظلّ يتهم مجتمعه بالتخلّف والرجعية و... لماذا لا يوجد فيما بيننا خطباء ورجال منبر وكاريزمات مؤثرة في الرأي العام إلا قليلاً، ولماذا تعالينا عن هذا الملفّ الحسّاس زاعمين ـ كما زعم بعضُ من كان قبلنا ـ أنه دون شأن المثقف الحصيف، أو تفكيره وطموحاته.

٩ ـ وإذا لم تكن فئات التغيير متحدة الرأي والاتجاه، وهذا شيء طبيعي، فلا أقلّ من قاسم مشترك، يمنح الأطراف كافّة قدرة صنع القرار على أساس من الشورى أو أغلبية الآراء، والمهمّ بالنسبة إلينا ـ في ورقتنا هذه ـ هو التغييريّ الديني مهما كان انتماؤه الفكري.

هذه هي رسالتنا ـ سيما لشباب التغيير الصاعد ـ الذي نطالبه بالثقة بنفسه ووضع برامج لعمله وأن لا يترك الزمن يسير به كيفما أراد محبطاً يائساً من صنع شيء، حيث أدّى الشيوخ قسطهم، وجزاهم الله خير جزاء المحسنين، فذهب بعضهم ـ كالصدر الأول والثاني مع الإمام موسى الصدر، والمطهري والبهشتي ومغنية و.. وفي مقدّمتهم الإمام الخميني ـ وظل العبء على كاهل أمثالنا أن يتحمّلوا المسؤولية، فكلّ الحركات الكبيرة في تاريخ الإنسانية بدأت قرارات صغيرة ومحدودة.

واليوم آن الأوان للتغييريين أن يخرجوا من مرحلة الدفاع والخوف على الذات إلى مرحلة الهجوم (العلمي الأخلاقي)، أن يبرزوا كقوى ضغط، تساهم في صنع الواقع إن شاء الله تعالى، بدل أن يظلّوا ملاحقين في قفص الاتهام داخل مجتمعهم

الديني.

كانت هذه خلاصة لأساسيات الورقة، والأفكار والمقترحات هنا كثيرة جداً، نوكل تفصيلها إلى مجال آخر.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1].

---

(١) المصدر: مجلة نصوص معاصرة، العدد ٤ خريف ٢٠٠٥.



ملاحظات وتساؤلات حول المشروع التغييري

للأستاذ حيدر حب الله



١ ـ دعوة إلى المناقشة ولكن أين؟

اعتبر الأستاذ حيدر أن ورقة عمله هذه تشكل مادة أولية لمشروعه التغييري الإصلاحي، الذي يرجو أن تتبلور معالمه عبر استجابة العلماء والباحثين والناقدين للدعوة التي وجهها إليهم للتعليق على هذه الورقة بمختلف أشكال النقد العلمي الموضوعي، مما قد يوحي ـ وللوهلة الأولى ـ أن الكاتب يعتَرف بحق كل من يُعلِّق على هذه الورقة، ويُسجل ملاحظاته وإشكالاته عليها ـ طبعاً ضمن حدود البحث العلمي الأخلاقي ـ في أن يقوم بنشر ما كتبه على نفس صفحات مجلَّة (نصوص معاصرة) حيث قام الكاتب بطرح مشروعه ونَشْرِ ورقة عمله.

غير أنا نجده قد سدَّ هذا الباب سلفاً أمام كل منتقديه ومخالفيه في الرأي، وذلك باعتذاره مسبقاً في مقالة (لماذا نصوص معاصرة؟) ـ حيث بيَّن أهداف المجلة وسياستها ـ عن نشر أية مقالة تكون لكتّاب غير إيرانيين، قائلاً: «**تهتمّ المجلّة بمشاهدة القارئ العربي للنص الإيراني مترجَماً، من هنا تقتصر جهودها على الدراسات التي قام بها كتّاب إيرانيون، سواء كانت منشورةً باللغة الفارسية أم بالإنجليزية أم بغيرهما، ما دام الكاتب إيرانياً، وهي ـ من هنا ـ تعتذر عن نشر أي دراسة للكتّاب العرب أو غير الإيرانيين، انطلاقاً من سعيها للتقيّد بهدفها الذي رسمته لنفسها**»، وكأنه يقول لمنتقديه من القرّاء العرب: فليكن نقدكم لي على غير صفحات مجلتي!!

ولكن، أليس من حق القارئ أن يُعطى فرصاً متكافئة لتقييم الفكر والفكر الآخر وذلك عبر نشر الانتقادات والمناقشات على صفحات المجلة نفسها كما هو ديدن المجلات العلمية التخصصية في هذا المجال؟!

بل أليس الموضوعية والإنصاف يقضيان بأن يُساوي الكاتب الآخرين بنفسه، فيسمح لهم بنشر تعليقاتهم وانتقاداتهم على صفحات مجلته، كما سمح لنفسه بنشر ورقة عمله عليها مع كونها لا ترتبط بالهدف المذكور للمجلة أو تمس به بوجه، وإنما هي مشروع شخصي للكاتب يدعو فيه إلى «**تكوين خطاب هادر .. يتحول إلى تيار ثالث .. وتشكيل لوبي مال .. قادر على دعم مشاريع مثل هذا النوع .. كتأسيس فضائية تغييرية .. وإيجاد كاريزمات مؤثرة .. للبدء بمرحلة الهجوم .. من أجل إعادة صنع العقول وتكوين الرأي العام .. وإنتاج الفكر من جديد ..**»، والكاتب ليس إيرانياً، وليس مشروعه ولا ورقته جزءً من المشهد الثقافي الإيراني الذي يهدف إلى نقله!!

بل مع الأخذ بعين الاعتبار كون المعني والمخاطب بما سيُنشر على صفحات مجلته هذه هم القراء العرب، فإلى أية موضوعية يرجع الأمر في إغلاق باب النقد والمناقشة أمام أي كاتب عربي له الحق في قبول أو رفض أية فكرة تعرضها المجلة، وما معنى أن يتذرع بأن هدف المجلة هو مشاهدة القارئ العربي للنص الإيراني مترجماً؟!

وهل المطلوب من القراء العرب ـ بنظر الكاتب ـ أن يكونوا مجرَّد متلقِّين لما ينتقيه لهم الكاتب من نتاج الفكر الإيراني؟!

٢ ـ أين الأطروحة الفقهية؟

إن الكاتب بادر إلى طرح ورقة عمل لمشروع تغييري داخل المذهب الشيعي يهدف إلى **(التغيير المجتمعي)** و**(إضافة أجزاء ناقصة)** و**(تغيير نمطية العقل الشيعي)** و**(إدخاله في سياق جديد)** و**(إعادة إنتاج الفكر من جديد)** و..

وهذه العناوين مع ضبابية وإجمال مضمون بعضها، وخطورة مضمون بعضها الآخر، أرسلها الكاتب إرسال المسلمات من دون أن يُكلّف نفسه عناء تقديم أطروحة فقهيَّة ـ وهو يدعي أنه من أهل ذلك ـ تبيِّن من خلال الأدلة القاطعة والبراهين الواضحة مشروعية مثل هكذا عمل في ظل غيبة المؤتمن الحقيقي على الدين والراعي الأصلي والأساسي له، وهو الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ولا أدري هل أن المطلوب من الشيعة في زمن الغيبة الكبرى وفي زمن انقطاعهم عن الاتصال المباشر وغير المباشر بإمامهم عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الثبات على ما بأيديهم من الدين الذي توارثوه عن أئمَّتهم عليهم السلام عبر علماء المذهب العدول الأثبات جيلاً بعد جيل؟

أو أن المطلوب منهم هو التنكر لما هو موجود بين أيديهم من الدين المُتَسالَم عن أئمتهم عليهم السلام والمُحرَز كونه موضع رضا وقبول منهم، ونبذه خلف الظهور، ومن ثم الانجرار خلف دعاوى التغيير والتجديد والحداثة؟

ونحن بدورنا لسنا مترددين فيما هي الوظيفة، ولكننا من حقنا أن نسال الأستاذ حب الله عن رأيه الحاسم في هذا المقام، وتتميماً للحجة نعرض بين يدي القارئ الكريم بعضاً من الأخبار والأحاديث الواردة عن أئمة الهدى المتكفلة ببيان تكليفنا في زمن غياب شمس الولاية الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

الوظيفة في آخر الزمان هي الثبات وعدم التغيير

أقول: إن المراجع للروايات المتواترة الواردة في بيان وظيفة الشيعة في زمان الغيبة يجدها تؤكد بشكل واضح وصريح على أن المطلوب منهم هو الثبات على ما بأيديهم من الدين ونبذ كل تغيير ودعوى إلى التحول من القديم إلى الجديد، حتى ولو كانت في دقائق الأمور وجزئياتها، ما لم يثبت صاحب هذه الدعوى بنحو قاطع وبيِّن لا يقبل الشك والارتياب صحَّتها ومشروعيتها.

فهذا الشيخ الجليل محمد بن إبراهيم بن أبي زينب النعماني قدس سره ذكر في غيبته جملة من هذه الروايات[1]، وإليكَها:

١ ـ بإسناده عن علي بن الحارث بن المغيرة، عن أبيه، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: **«يكون فترة لا يعرف المسلمون فيها إمامهم؟ فقال: يُقال ذلك، قلت: فكيف نصنع؟ قال: إذا كان ذلك فتمسكوا بالأمر**

---

(١) غيبة النعماني: ١٦٠ ـ ١٦٥.

الأول حتى يَبينَ لكم الآخر».

٢ ـ وبه عن محمد بن منصور الصيقل عن أبيه منصور، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**إذا أصبحت وأمسيت يوماً لا ترى فيه إماماً من آل محمد، فأحبب من كنت تحب، وابغض من كنت تبغض، ووالِ من كنت توالي، وانتظر الفرج صباحاً ومساءً».**

٣ ـ وبإسناده عن عبد الله بن سنان، قال: دخلت أنا وأبي على أبي عبد الله عليه السلام فقال: «**كيف أنتم إذا صرتم في حال لا ترون فيها إمام هدى، ولا علماً يرى، فلا ينجو من تلك الحيرة إلا من دعا بدعاء الغريق، فقال أبي: هذا والله البلاء، فكيف نصنع ـ جعلت فداك ـ حينئذ؟ قال: إذا كان ذلك ـ ولن تدركه ـ فتمسكوا بما في أيديكم حتى يتضح لكم الأمر».**

٤ ـ وبه وعن محمد بن عيسى والحسن بن ظريف ، عن الحارث بن المغيرة النصري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**قلت له: إنا نروي بأن صاحب هذا الأمر يُفقَد زمانا فكيف نصنع عند ذلك؟ قال: تمسكوا بالأمر الأول الذي أنتم عليه حتى يبين لكم».**

٥ ـ وعن محمد بن همام، بإسناده يرفعه إلى أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**يأتي على الناس زمان يصيبهم فيها سبطة يأرز العلم فيها كما تأرز الحية في جحرها، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم نجم، قلت: فما السبطة؟ قال: الفترة، قلت: فكيف نصنع**

فيما بين ذلك؟ فقال: كونوا على ما أنتم عليه حتى يُطلعَ الله لكم نجمكم».

وقد علّق النعماني رحمه الله على هذه الروايات قائلاً: «**هذه الروايات التي قد جاءت متواترة .. وهي مشتملة على أمر الأئمة عليهم السلام للشيعة بأن يكونوا فيها على ما كانوا عليه لا يزالون ولا ينتقلون، بل يثبتون ولا يتحوّلون ..**».

كما علّق صاحب البحار قدس سره عليها قائلاً: «**المقصود من هذه الأخبار عدم التزلزل في الدين والتحير في العمل، أي تمسّكوا في أصول دينكم وفروعه بما وصل إليكم من أئمتكم عليهم السلام ..**»[(١)].

وإليك جملة أخرى من هذه الروايات:

٦ ـ في النهج الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**إن عوازم الأمور أفضلُها، وإن محدثاتها شرارُها**»[(٢)]، فالمراد من عوازم الأمور: ما تقادم من الأمور، من قولهم: عجوز عَوْزَم أي مسنّة، على ما ذكره أكثر أهل اللغة[(٣)]، ويؤيد إرادة ذلك منها هنا مقابلتها بالمحدَثات.

ولا يخفى ما فيه من الحث على التمسُّك بما تقادم من أمور الدين

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٣٣.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٣: ٣٢٠، ولسان العرب ١٢: ٤٠١.

وتوورث عن السلف الصالح من علمائه، وعدم الانجرار خلف الدعاوى الجديدة والحادثة.

٧ ـ ما في كمال الدين للشيخ الصدوق قدس سره بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: **«يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فقلت له: ما يصنع الناس في ذلك الزمان؟ قال: يتمسكون بالأمر الذي هم عليه حتى يتبين لهم»**[١].

٨ ـ ما فيه أيضاً بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **«كيف أنتم إذا بقيتم دهراً من عمركم لا تعرفون إمامكم؟ قيل له: فإذا كان ذلك فكيف نصنع؟ قال: تمسكوا بالأمر الأول حتى يستبين لكم»**[٢].

٩ ـ وما في كمال الدين والكافي والغيبتين[٣] بطرق متعددة عن يمان التمّار عنه عليه السلام: **«إن لصاحب هذا الأمر غيبة، المتمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد .. ثم قال: إن لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتق الله عبد، وليتمسّك بدينه»**.

١٠ ـ ما في الكافي والعلل وكمال الدين[٤] عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: **«إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم لا يزيلكم عنها**

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٥٠.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٤٨.

(٣) وكمال الدين: ٣٤٣، والكافي ١: ٣٣٦، وغيبة الطوسي: ٤٥٥، وغيبة النعماني: ١٤٤.

(٤) الكافي ١: ٣٣٦، وعلل الشرائع: ٢٤٤، وكمال الدين: ٣٦٠.

أحد، يا بني إنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هو محنة من الله عز وجل امتحن بها خلقه، لو علم آباؤكم وأجدادكم ديناً أصح من هذا لاتبعوه ..».

١١ ـ ما في كمال الدين عن الحارث بن المغيرة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: **«هل يكون الناس في حال لا يعرفون الإمام؟ فقال: قد كان يقال ذلك، قلت: فكيف يصنعون؟ قال: يتعلقون بالأمر الأول حتى يستبين لهم الآخر»**[1].

١٢ ـ ما فيه أيضاً عن يونس بن عبد الرحمن قال: دخلت على موسى بن جعفر عليهما السلام فقلت له: **«يا ابن رسول الله! أنت القائم بالحق؟ فقال: أنا القائم بالحق ولكن القائم الذي يُطهِّر الأرض من أعداء الله عز وجل ويملَؤها عدلا كما ملئت جورا وظلما هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون، ثم قال: طوبى لشيعتنا، المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة»**[2].

---

(١) كمال الدين: ٣٥١.

(٢) كمال الدين: ٣١٧.

ولنكتفِ بهذه الجملة من الروايات تيمُّناً بعدد الأئمة الإثني عشر عليهم السلام.

فهذه الروايات الشريفة تمدح ما تقادم من أمور الدين، وما تُسولم منها عن السلف الصالح من العلماء الأبرار والأصحاب الأجلَّة، وتأمَر بالتمسك به والثبات عليه، وعدم العدول عنه واستبداله بغيره ما لم يُثبت الجائي بهذا الأمر الآخر الجديد بنحو بيِّن لا شك فيه أنه مأخوذ من معين علمهم، وموضع رضا وقبول منهم عليهم السلام.

لا ينجو إلا من دعا بدعاء الغريق

تقدَّم في الرواية الثالثة قول الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله بن سنان أنه لا ينجو في آخر الزمان إلا من دعا بدعاء الغريق، فما هو سرُّ كون النجاة في هذا الدعاء يا ترى؟

روى الصدوق قدس سره في كمال الدين عن عبد الله بن سنان أيضاً قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **«ستصيبكم شبهة فتبقون بلا عَلَم يُرى، ولا إمام هدى، ولا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق، قلت: كيف دعاء الغريق؟ قال: يقول: يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت: يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك، قال: إن الله عز وجل مقلب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول لك: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»**[1].

---

(١) كمال الدين: ٣٥٢.

ولعمري إن الإمام عليه السلام بيَّن في هذا الحديث الشريف أن سبيل النجاة في زمن الغيبة منحصر في طلب الثبات على الدين من الله عز وجل، مما يوضح أن فتن ذلك الزمان أكثرُها يقوم على دعاوى التغيير والتجديد والحداثة، ومن هنا كانت غبراء مظلمة كما سيأتي في الحديث اللاحق، حيث إنها تريد إزالة المؤمن عن دينه ومعتقده بطريقة مبطَّنة وباسم الإصلاح والتجديد و.. ، مما قد يخدع المؤمن ويجعله بنجرٌّ وراءها، ما لم تتداركه العناية الإلهية وتُثَبِّت قلبه على الدين.

كما بيَّن عليه السلام للراوي من خلال نهيه عن إضافة عبارة (والأبصار) على الدعاء ـ وإن كانت في حدِّ نفسها من الحق ـ أن التغيير المنهي عنه والذي يُنافي الثبات على الدين يشمل حتى مثل فعله هذا الذي لا يخلو من كونه نحو اقتراح على الإمام وتقدُّم بين يديه، والله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّه وَرَسُوله﴾[1]، فلا يكفي كون المَطلب في نفسه حقاً حتى يجوز القولَ به ما لم يَكَن صادراً عنهم ومأخوذاً منهم عليهم السلام.

الثبات على الدين في آخر الزمان أشق التكاليف

بيَّنت الروايات الشريفة أن أشقَّ التكاليف الملقاة على عاتق المؤمن في آخر الزمان وأصعبها هو الثبات على ما بيده من الدين في ظل رياح

---

(١) الحجرات: من الآية ١.

التغيير التي تعصف بالمجتمع، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: **«اللهم لَقِّني إخواني ـ مرتين ـ فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فقال: لا إنكم أصحابي، وإخواني قوم من آخر الزمان آمنوا بي ولم يرَوني، لقد عرَّفَنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يُخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لَأَحدُهم أشدُّ بقيَّةً على دينه من خَرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا، أولئكَ مصابيح الدجى ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة»**[1].

الأصل في دعاوى التغيير هو الفساد

لم يقتصر الأمر في الروايات على الحث على الثبات على ما بأيدينا من أمور الدين، والتمسُّك بما تقادم منها، بل إن الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله: **«إياكم ومحدثات الأمور، فإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»**[2]، يظهر منه كمال التحذير من قبَله صلى الله عليه وآله من محدثات الأمور التي تنضوي غالباً تحت شعارات التغيير وَالَإصلاح والتجديد، وأن الوظيفة الظاهرية تجاه أي أمر محدث وجديد ولم يؤثر عن السلف الصالح من علمائنا

(١) بصائر الدرجات: ١٠٤.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ٣٣٧، ومسند أحمد ٤: ١٢٦، وغيرهما من المصادر.

الأبرار وأصحاب الأئمة عليهم السلام أن نتوجَّس منه شراً، ونعامله معاملة البدعة، حتى يثبت صاحبه ومن جاء به أنه من الحق الصراح الذي لا مرية فيه ولا ريب يعتريه.

فليس الحكم بكون (شرار الأمور محدثاتها)، ثم الحكم بأن (كل محدثة بدعة)، مع ما هو معلوم من عدم الملازمة بين المحدثة والشر والبدعة واقعاً، إلا لتأسيس أصل عام في كلّ أمر حادث باسم الدين بأن يُبنى ابتداءً وظاهراً على كونه شراً وبدعة ويُتعامل معه على هذا الأساس حتى يُثبت من جاء به عدم كونه كذلك.

هل الثبات على القديم ورفض الجديد المحدَث من التقليد المذموم؟

قد يتوهم البعض أن البقاء على القديم المُتسالَم جيلاً بعد جيل ـ عوازم الأمور على حد تعبير أمير المؤمنين عليه السلام ـ والبناء على رفض كل جديد ما لم تثبت صحَّته بدليل قاطع هو من التقليد المذموم في القرآن الكريم.

فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[1]، وقال عزَّ من قائل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[2]، فذمَّهم على تقليدهم الآباء والأجداد ورفضهم العدول عما توارثوه منهم

---

(١) البقرة: ١٧٠.

(٢) المائدة: ١٠٤.

وتسالموه عنهم.

ولكن المتأمل في هذه الآيات يجد أن القرآن الكريم لم يذم أصل فكرة ومبدأ التقليد، وإنما ذم الذين يقلّدون من لا أهلية له للتقليد ويأخذون دينهم عن الآباء والأجداد الضالين الذين لا يفقهون ولا يعقلون، حيث إنه بعدما حكى عن الأمم السالفة الضالة اتّباعهم لما كان عليه الآباء والأجداد عقَّب قائلاً في الآية الأولى: ﴿**أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**﴾، وفي الآية الثانية: ﴿**أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**﴾، فلو كانت المشكلة في أصل أخذهم عقائدهم من طريق التوارث عن الآباء والأجداد لما ناسب التعقيب بمثل ذلك، بل كان المناسب الاعتراض على أصل أخذهم الدين من هذا الطريق.

وأما إذا كان المقلَّد معصوماً وكان الآباء والأجداد المأخوذ عنهم هم المعصومين، ومن اتَّصل بهم من الأصحاب الفقهاء الأجلة الثقات، والعلماء الأبرار أهل التقوى والعلم والتحقيق والتدقيق، فإن هذا لا يكون مذموماً، بل هو من التقليد الممدوح والمأمور به والموصل إلى الحق والذي يكون تركه مذموماً.

قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]، إذ كان يكفيهم أن يقولوا:

---

(١) البقرة: ١٣٣.

(نعبد الله)، ولكنهم أرادوا أن يُبيِّنوا أن هذا الدين الذي اخترتَه أنت، واختاره آباؤك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عليهم السلام، والذي يقوم على عبادة الله الواحد الأحد، هو الدين الحقيق بالإتِّباع.

وفي خبر محمد بن عبيدة قال: «**قال لي أبو الحسن عليه السلام: يا محمد أنتم أشد تقليداً أم المرجئة؟ قال: قلت: قلدنا وقلَّدوا .. فقال أبو الحسن عليه السلام: إن المرجئة نصبت رجلا لم تفرض طاعته وقلدوه، وإنكم نصبتم رجلا وفرضتم طاعته ثم لم تقلدوه، فهم أشد منكم تقليدا**»[1]، فبيَّن عليه السلام أن مشكلة المرجئة وغيرهم من الفرق الضالة والمنحرفة ليست في أنهم مقلّدة، بل في أنهم نصبوا رجلاً لم تثبت عندهم عصمته، ولا كونه مصدَّقاً على الغيب، فقلَّدوه، وأما الشيعة ـ أعزَّهم الله ـ فمشكلتهم على العكس حيث إنهم على الرغم من اعتقادهم في أئمتهم أنهم منصوبون من قبل الله تعالى، وأنهم مفترضوا الطاعة، فإنهم يُقصِّرون أحياناً في تقليدهم.

وفي خبر البزنطي قال: قلت للرضا عليه السلام: «جعلت فداك، إن بعض أصحابنا يقولون: نسمع الأثر يُحكى عنك وعن آبائك عليهم السلام فنقيس عليه ونعمل به، فقال: سبحان الله، لا والله ما هذا من دين جعفر عليه السلام، هؤلاء قوم لا حاجة بهم إلينا، قد خرجوا من طاعتنا وصاروا في موضعنا، **فأين**

---

(١) الكافي ١: ٥٣.

التقليد الذي كانوا يقلدون جعفراً وأبا جعفر عليهما السلام؟!»[١]، حيث بيَّن عليه السلام أن قوام التشيع والموالاة لأهل البيت عليهم السلام إنما هو في التقليد لهم عليهم السلام كما كان الحال عند أصحاب جعفر وأبي جعفر عليهما السلام، وأما من يأبى التقليد لهم عليهم السلام، ويريد أن يستقل برأيه في قبالهم، فقد جعل نفسه بذلك مكانهم، وخرج عن طاعتهم وولايتهم.

وقد تقدم قول أبي الحسن موسى عليه السلام: «.. الله الله في أديانكم لا يزيلكم عنها أحد .. **لو علم آباؤكم وأجدادكم ديناً أصح من هذا لاتَّبعوه»**، وهو واضح وصريح في لزوم التمسك بما كان عليه الآباء والأجداد من الدين، طالما أنه قد ثبت لنا بالقطع واليقين صدق هؤلاء الآباء وعصمتهم. هذا على مستوى تقليد الشيعة لأئمتهم عليهم السلام.

وأما على مستوى تقليد عوام الشيعة لعلمائهم، فقد أوضح إمامنا الصادق عليه السلام الفرق بين التقليد المذموم المنهي عنه والتقليد الممدوح المأمور به عندما سأله رجل قائلاً: إذا كان هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره، فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم؟! وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون علماءهم؟! فإن لم يجز لأولئك القبول من علمائهم، لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم!

فقال عليه السلام: **«بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم**

---

(١) الكافي ١: ٣٣٦.

فرق من جهة وتسوية من جهة:

أما من حيث أنهم استووا، فإن الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم، وأما من حيث أنهم افترقوا فلا.

قال: بين لي ذلك يا بن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ!

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح، وبأكل الحرام وبالرشاء، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم، وأنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه، وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم وظلموهم من أجلهم، وعرفوهم بأنهم يقارفون المحرمات، واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق، لا يجوز أن يُصدَّق على الله، ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله، فلذلك ذمهم الله لما قلدوا من قد عرفوا، ومن قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره، ولا تصديقه في حكايته، ولا العمل بما يؤديه إليهم عمن لم يشاهدوه، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى، وأشهر من أن لا تظهر لهم.

وكذلك عوام أمتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر، والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها، وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقا، وبالترَفُّق بالبر

والإحسان على من تعصبوا له، وإن كان للإذلال والإهانة مستحقا، فمن قلد من عوامنا من مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله تعالى بالتقليد لفسقة فقهائهم.

فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه، مخالفا لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه ..»[١].

وعليه، فالبقاء على الدين المأخوذ عنهم عليهم السلام، والمتسالَم عن أصحابهم الأجلة الثقات، والعلماء الأبرار الأثبات جيلاً بعد جيل، ونبذ كل أمر جديد محدث، لم يُؤثر عنهم عليهم السلام، ولا نجده فيما بين أيدينا من الدين الذي نقله إلينا علماؤنا الأجلاء والأصحاب الثقات، مما أقرَّه القرآن الكريم وأمرت به الروايات الشريفة، وليس من التقليد الباطل والمذموم.

عود على بدء

وعلى أي حال فإن الروايات الشريفة ـ والتي قدَّمنا نبذة منها ـ تأمر بالثبات على ما بأيدينا من الدين في زمن الغيبة، وتنهى عن اتّباع كل أمر جديد محدَث، وتُبيِّن أنه ما لم يقترن بالحجج الواضحة والأدلة البيِّنة على كونه منتهياً إليهم عليهم السلام ومأخوذاً من معين علمهم فهو بدعة في الدين، ولن يجلب سوى الشر والوبال على أهله، مما يجعل مهمة الكاتب في مشروعه التغييري صعبة، ويفرض عليه أن يقدِّم أطروحته

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٩٩.

الفقهية المتكاملة التي تعالج هذه الروايات بطريقة علمية، وتبيِّن مشروعية العمل التغييري الذي يريد القيام به على ضوء العقل الفطري البديهي والقرآن الكريم والسنة المعصومية الشريفة، قبل أن يبادر إلى طرح ورقة للعمل بمشروع لم يثبت أصل جوازه بعد، ولعلَّه يكون بدعة في الدين، ويجلب الشر والوبال على أهله.

تجديد أم تبديد؟

لا يخفى أن (التجديد) (والإصلاح) كلاهما يستبطن في داخله الحفاظ على أُسٍّ ما يُراد تجديدُه وإصلاحُه وما به قوامه، فكما أنه لا يُقال لمن يقوم بهدم البيت وتقويض أسسه ثم إعادة بنائه من جديد أنه أصلحه أو جدَّده ورمَّمه، فكذلك لا يكون تقويض دعائم أي مذهب والسعي لنقدها ونقضها تجديداً وإصلاحاً له، بل يكون هدماً لهذا المذهب وإلغاء له في الواقع، سواء سماه مرتكبه تجديداً وإصلاحاً أو أي شيء آخر.

وما قدَّمناه من المطالبة بالأطروحة الفقهية لمشروع الكاتب مبني - طبعاً - على كون التغيير الذي يُنادى به لا يرتبط بروح المذهب وجوهره، ولا يمس أصول المذهب وأسسه، وبالتالي مما يمكن أن يكون تجديداً وإصلاحاً ويُحتمل في حقّه أن يكون موضع رضا وقبول منهم عليهم السلام، ولو لرجوعه بحسب جذوره وقواعده العامة إلى ما تُسولِم عنهم عليهم السلام.

وأما إذا لم يكن كذلك، فلا نظننا بحاجة إلى كل هذا التطويل في

إثبات بطلانه ووجوب محاربته، إذ أنه لا يكون حينها تجديداً وإصلاحاً، بل إفساداً وتدميراً للدين والمذهب تحت غطاء الإصلاح والحداثة والتجديد.

وحيث إن كاتب هذه الورقة أوضح بعض ملامح مشروعه التغييري في مقالته (لماذا نصوص معاصرة) قائلاً: (**نحاول في هذه المقدِّمة تحديد تصورنا عن مشروعنا وأسسه الفكرية والثقافية لكي تتجلى الصورة وتتضح**)، وأفصح هناك عن كثير مما أجمله هنا في ورقة عمله، فنحن نجد لزاماً علينا أن نتعرض بإيجاز لبعض ما أورده في تلك المقالة، وسنحاول قدر الإمكان التقيد بعبائر الكاتب، كما أننا سنسلط الضوء على بعض الأمور التي نرى فيها مشكلة، وليس غرضنا فعلاً الإيراد على كل ما قاله.



٣ ـ ملامح المشروع التغييري للكاتب

تتلخص ملامح المشروع التغييري للكاتب في نقطتين رئيسيتين:

أ ـ الساحة الفكرية الشيعية من وجهة نظر الكاتب.

ب ـ كيفية الإصلاح من وجهة نظر الكاتب:

١ ـ إفساح المجال للخطأ كي ينتشر.

٢ ـ نشر الفكر الضال في المجتمع الإيماني.



الساحة الفكرية الشيعية من وجهة نظر الكاتب

لخَّص الكاتب في مقالته (لماذا نصوص معاصرة؟) المشهد الثقافي والفكري في الساحة الإيرانية باتجاهين رئيسيين:

١ ـ الاتجاه التقليدي المدرسي.

٢ ـ الاتجاه التجديدي الإصلاحي.

وقسم هذا الأخير بدوره إلى تيارين رئيسيين:

أ ـ التيار التجديدي من داخل الحوزة.

ب ـ التيار التجديدي من خارج الحوزة.

وتعرَّض للتيار الحزبي ضمن حديثه عن تجربة نقل المشهد الثقافي الإيراني أبان انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران مطلع الثمانينات، وذلك عندما تحدَّث عن تأثير الفكر السياسي على مشروع نقل المشهد الإيراني تحت عنوان (المشهد الثقافي بين التسييس والانتقائية).

ثم لخَّص في ورقة عمله المشهد الشيعي المعاصر سواء في شقه العربي وغير العربي قائلاً: (**لا شك في وجود خارطة للمشهد الشيعي المعاصر .. وهناك قوى وجماعات ذات نفوذ تتقاسم المجتمع الشيعي .. وداخل هذا الوضع ثمة تيار ثالث يتمثل في عناصر ممزقة متفرقة مشتتة لا يجمعها سوى اللقاء الفكري تدعو للتغيير**

المجتمعي ..).

وقد تتعجب للوهلة الأولى من تصنيفه نفسه تياراً ثالثاً في المشهد الشيعي مع أنه لم يَذكر وجود تيارين آخرين بل غاية ما ذكره (**قوى وجماعات ذات نفوذ تتقاسم المجتمع الشيعي**)، ولكنْ تعجُّبك يزول إذا لاحظت قوله الآتي: (**دعوتنا تقوم على تلاقي .. يتحوَّل إلى تيار ثالث لا تحكمه عقلية حزبية ولا أفق ضيق**) حيث أفصح فيه عن أن القوى والجماعات المختلفة التي تتقاسم المجتمع الشيعي يمكن تصنيفها إلى تيارين رئيسيين:

١ ـ التيار المحكوم للعقلية الحزبية.

٢ ـ التيار الضيق الأفق.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار انطباق القسمة التي ذكرها في ورقة عمله للمشهد الشيعي ككل على القسمة التي ذكرها في مقالته تلك للمشهد الثقافي الإيراني بالخصوص، فإنا نستطيع أن نتوصَّل إلى النتائج التالية:

١ ـ أن الاتجاه التجديدي الإصلاحي بتياراته المختلفة ورموزها الفكرية المتعدِّدة التي ذكرها الكاتب في مقالته تلك هم المقصودون من (**فئات التغيير المختلفة .. وكل تغييري ديني أياً كان انتماؤه الفكري**) الذين دعاهم في ورقة عمله إلى التحالف معه للوصول إلى خطاب هادر يتحوَّل بالفعل إلى تيار ثالث يكون قادراً على القيام بأعباء المشروع التغييري الضخم الذي يريد من خلاله إصلاح الواقع الديني عند الشيعة.

٢ ـ أن التيار الثوري الذي: (بذل قصارى جهده لنقل الثورة لمجتمعه صافيةً أنيقة، مما فرض تقدُّم المصالح السياسية على الفكرية والعلمية .. ومارس الانتقائية في نقله للمشهد فبذل جهوداً لإقصاء علي شريعتي لصالح مطهري أو دستغيب، ولإقصاء مهدي بازركَان وصادق هدايت وحميد عنايت لصالح جوادي آملي، ومصباح يزدي، ومحمد حسين الطباطبائي و..

وذلك يرجع إلى القراءة المعمَّقة التي قدّمها الإمام الخميني للإسلام، سيما عندما أذاب التشريعات في إطار الفقه الحكومي .. فالفكر السياسي الذي ظهر في نظرية الحكومة الدينية، كان المحرّك لمشروع نقل المشهد الإيراني، وكان من الطبيعي أن يقرّب ويبعّد، ويفترض أن لا نتوقّع منه غير هذا، فالقضية ليست في الأداء وإنما في المنطلقات الفكرية لهذا الأداء، كما أنّها تتبع بشكل رئيس سلّم الأولويات التي يضعها أصحاب المشروع أمامهم .. ممّا يفرض أحياناً وبصورة منطقية، تبعاً لهذا التفكير المبدئي، إخفاء بعض الأوراق، أو طمر بعض الحقائق، أو تجاهل إثارة بعض الموضوعات الفكرية في مرحلة دون أخرى، لعدم وجود مصلحة في ذلك، أو نقد فكرة ربما تكون من حيث بنيتها الأولية صحيحة ومقبولة، لأن معنى ًالاعتراف الرسمي ثقافياً بها قدرة أطراف أخرى في الساحة السياسية على اكتساب ورقة ضغط معيّنة ضدّ الفريق الأول) ..

هذا التيار الذي تحدَّث عنه الكاتب بهذا النحو في مقالته تلك هو المقصود من الذين (**تحكمهم عقلية حزبية**) الذين تحدَّث عنهم في ورقة عمله.

٣ ـ أن (التيار التقليدي المدرسي) الذي تحدَّث عنه في مقالته تلك، **(والذي يتمثَّل في أغلب الشخصيات الدينية التي تصدَّت لمقام المرجعية، أو بعض أساتذة الحوزات العلمية)**، هو المقصود من **(أصحاب الأفق الضيِّق)** الذين ذكرهم في ورقة عمله.

٤ ـ أنه **(إذا أرادت الحركة التغييرية أن تعيد صنع العقول وتكوين الرأي العام فيجب أن تخرج عن منطق الوصاية والتلقين)** الذي يمارسه الثوريون المحكومون للعقلية الحزبية والذين بيدهم السلطة والحكم في إيران ـ مهد التشيُّع ـ من جهة، ومراجع التقليد وأساتذة الحوزة الضيِّقوا الأفق و(الذين بيدهم حالياً الكثير من مواقع النفوذ) من جهة أخرى.

هذه هي خلاصة المشهد الثقافي الإيراني في نظر الكاتب من خلال ما ذكره في مقالتيه الآنفتي الذكر.

ولنا حول ما ذكره عدة تساؤلات:

١ـ عرض أم تقييم؟

فنحن نسأل الكاتب: هل لهذه التيارات وجود في الخارج تحت هذه العناوين التي عنونها بها؟ فهل يُطلق مراجع الدين وأساتذة الحوزة على أنفسهم اسم التيار التقليدي، وهل يصفون أنفسهم بأنهم أصحاب الأفق الضيق، وهل يجعلون أنفسهم في قبال ما سماه بالتيار الحزبي؟!

وهل يرضى من سماهم بالتيار الحزبي بأن يكونوا في قبال أساتذة الحوزة ومراجعها؟! وهل يقبلون ما وصفهم به من أنهم قد (**يضطرون أحياناً وبصورة منطقية إلى إخفاء بعض الأوراق، أو طمر بعض الحقائق و..**)[1]؟!

أم أن الكاتب عندما قسَّم الواقع الثقافي الشيعي إلى هذه التيارات وأدرج الشخصيات المختلفة تحت التيارات المتنوِّعة التي ذكرها، كان في مقام الحكم على هذا الواقع وتقييم تلك الشخصيات من وجهة نظره؟!

فمن الواضح ـ مثلاً ـ أن الأستاذ الشيخ حسن الجواهري الذي جعله

---

(١) راجع ص ٣٦.

الكاتب من رموز التيار التجديد الإصلاحي من داخل الحوزة، لا يُصنّف نفسه في هذا التيار، بل ـ وبحسب معرفتنا به ـ يرفض أن يُصنّفه أحد بهذا التصنيف، وأن يجعله في قبال تيار آخر يتمثل بالمراجع وأساتذة الحوزة الذي هو منهم.

كما أنا لم نسمع لأية شخصية من شخصيات التيار التجديدي الإصلاحي التي ذكر الكاتب أن لها **(آراء فقهية جريئة)** أو **(آراء حقوقية جريئة)** بكتاب في الفقه أو في القانون أو في غيرهما عنوانه **(آراء جريئة)**.

فاتّضح أن الكاتب إذا وصف رأياً ما بالجرأة فإنما يمثّل تقييمه لذلك الرأي، وإذا ما وَسَم شخصية بالتجديد الإصلاحي فإنما يُعبِّر عن تقييمه لذلك الشخص.

فلا يمكننا أن نقبل مقولة العرض المجرَّد وعدم التبني والحيادية المطلقة التي أطلقها الكاتب ـ وأقسم عليها الأيمان ـ في صدر مقالته آملاً أن يدفع بذلك عن نفسه تبعات ما قام به من تقسيم للمشهد وتصنيف للشخصيات الموجودة فيه.

٢ ـ (حسبنا كتاب الله) تجديد وإصلاح!

قال الكاتب: **(تيار التجديد الفقهي: ويؤمن أصحاب هذا التيار بضرورة التجديد الفقهي العاجل، وليس المتأني .. ومن أبرز رموز هذا التيار الشيخ يوسف الصانعي وله آراء جريئة.. ويناقش أيضاً**

موضوع انحصار الطلاق بيد الرجل ـ الذي يعتبر عمدة بحث الطلاق ـ حيث لا يرى دليلاً قرآنياً عليه.

ومن الرموز البارزة والمتقدمة في هذا الاتجاه الشيخ الصادقي الطهراني صاحب كتاب "تبصرة الفقهاء" وهو موجّه للفقهاء لإبانة إشكالات وقعوا فيها، ويميل كثيراً إلى الاستنباط من القرآن الكريم معارضاً التيار الأخباري بشدّة كبيرة ..)[1].

ونحن نسأل: ما عُذر الكاتب في وسم التيار الذي يُناقش في الضرورات الدينية تحت ذريعة أنه لم يجد دليلاً قرآنياً عليها، ويميل إلى الاستنباط من القرآن وحده، بأنه تيار التجديد الفقهي، وجعله قسماً من التيار التجديدي من داخل الحوزة، الذي جعله بدوره قسماً من الاتجاه التجديدي الإصلاحي؟!

أوليس من المقرَّر في علم المنطق أن المقسم يجب أن يكون محفوظاً في الأقسام؟!

فكيف صار الاقتصار على القرآن الكريم في مقام استنباط الأحكام وتهميش روايات العترة الطاهرة تجديداً وإصلاحاً بنظر الكاتب؟! مع أنه منهج قديم بال أسس له من منع رسول الله ﷺ عن الكتابة للأمة صائحاً (حسبُنا كتابُ الله)، ودفعت الأمة ثمن عمل فريق من المسلمين به على

---

(١) راجع ص ٢٧ ـ ٢٨.

مدى ١٤٠٠ سنة غافلين أو متغافلين عن أن في ذلك ـ أي إقصاء العترة والاقتصار على القرآن وحده ـ تكذيباً للقرآن نفسه الذي أشاد بفضل العترة وأمر باتباعهم والتمسك بحبلهم والأخذ عنهم والرد إليهم؟!

اللهم إلا أن يكون مراده أن العمل بهذا المنهج جديد على الوسط الشيعي، ولم يعرفه الشيعة من ذي قبل.

إلا أننا نتساءل أن التأسيس لمثل هكذا منهج بين الشيعة هل يُعد تجديداً وإصلاحاً في هذا المذهب، أم نسفاً لهذا المذهب ـ القائم على نظرية القرآن والعترة على هُدىً من قوله ﷺ الذي تواتر نقله في كتب الفريقين: **«إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»** ـ من أصله وأساسه؟!!

* ولست أدري ما هو مراده من (التيار الأخباري) الذي جعل في الميل إلى الاستنباط من القرآن وحده معارضة شديدة له؟!

فإن كان مراده منه التيار الذي يرى ضرورة العمل بأخبار العترة الطاهرة وعدم كفاية القرآن وحده في أخذ الأحكام ومعرفة الحلال والحرام، فإن هذا ما به قوام المذهب وعليه علماء الشيعة كافة ـ أصوليون وأخباريون ـ منذ زمن الأئمة عليهم السلام وحتى يومنا هذا، فكيف صارت المخالفة في مثل هذا الأمر إصلاحاً وتجديداً؟!

وإن كان مراده من التيار الأخباري ما يقابل التيار الأصولي، فكيف صار الاستنباط من القرآن وحده مخالفة للتيار الأخباري دون التيار الأصولي؟!

فهل الأصوليون يميلون أيضاً إلى الاستنباط من القرآن وحده؟!

وإن لم يكن الأصوليون كذلك ـ كما هو الحق الذي يعرفه أصاغر الطلبة ـ فلماذا جعل تيارَ الاستنباط من القرآن وحده مقابلاً للمنهج الأخباري فقط، لا مقابلاً لمنهج علماء الشيعة قاطبة من أصوليين وأخباريين قديماً وحديثاً وحتى يومنا هذا؟!

أوليس الجميع متفقون على أن العمدة في معرفة الحلال والحرام هو الأخبار التي وصلتنا عن العترة الطاهرة، وإن اختلفوا في بعض موازين قبول الأخبار وردِّها؟!

أم أن الكاتب أراد من خلال جعل المواجهة بين من يميلون إلى الاستنباط من القرآن وحده وخصوص الأخباريين إدخال الأوَّلين في معركة رابحة سلفاً، وذلك أن أكثر الطلاب ـ سيما المبتدئين منهم ـ يحملون نظرة سيئة عن الأخباريين ويكيلونهم جميعاً بمكيال واحد من دون أن يعرفوا شيئاً عن منهجهم؟!

٣ ـ التشكيك في الضرورات الفقهية تجديد وإصلاح!

قال الكاتب: (**ومن أبرز رموز هذا التيار الشيخ يوسف الصانعي وله آراء جريئة... فمثلاً يرى ضرورة الحصول على إذن الزوجة السابقة للارتباط بأخرى، ويرى كذلك أن دية المرأة مساوية لدية الرجل، ويخالف من يقول بنقصان دية الذمي عن المسلم، كما يعتقد بكراهة الزواج الثاني، ويناقش أيضاً موضوع انحصار**

الطلاق بيد الرجل.

أما الشيخ محمد إبراهيم الجناتي فتصبّ جهوده في الإطار نفسه، وله كتاب كبير في الفقه .. فهو يرفض مثلاً فكرة الاحتياط أصلاً، وذلك يدل على جرأة كبيرة لديه .. وقد سبب ذلك التشكيك في الكثير من البديهيات الفقهية الواضحة)(١).

ونحن نسأل: أين التجديد والإصلاح في التشكيك في البديهيات الفقهية الواضحة؟ فهل هو في التشكيك في بداهتها، أم في التشكيك فيها مع تسليم بداهتها؟

فإن كان الأول: فإن هذا ليس بجديد فقد وقع التشكيك قديماً وحديثاً بالبديهيات سواء الفقهية أو غيرها، بل في أبده البديهيات وأمّها وأساسها، ألا وهو أصل عدم التناقض، فذهب جماعة من المعتزلة وبعض الأشاعرة إلى إمكان ارتفاع النقيضين وقالوا بواسطة بين الوجود والعدم أسموها الحال، كما بنى الماركسيون في عصرنا الحاضر فلسفتهم (الديالكتيكية المادية) على إمكان اجتماعهما.

ومن المقرَّر عند أهله أن التشكيك في البديهي لا ينافي ولا ينفي بداهته، وإنما يكشف عن كون المشكّك ـ ما لم يكن غافلاً عن بداهة هذا الأمر ـ غير سليم الذهن أو الحواس أو منحرف السليقة أو نحو ذلك،

---

(١) راجع ص ٢٧.

وبعبارة أخرى: مريضاً عضوياً أو فكرياً ونفسياً ويحتاج إلى علاج، فكيف صار هؤلاء مصلحون بنظر الكاتب، وهم أحوج ما يكونون إلى الإصلاح (**طبيب يداوي الناس وهو عليل**)؟!

وإن كان الثاني: فأين هذا من الإصلاح والتجديد؟!

بل هو كفر من فاعله مطلقاً على المشهور، أو في حال التفاته إلى استلزام تشكيكه في ضروري الدين أو المذهب لتكذيب النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، أو احتمال كذبهم، والعياذ بالله.

بل إن أراد من التشكيك في البديهيات الفقهية الواضحة هذا المعنى، فإن من نَسب إليهم ذلك لا يُحتمل في حقّهم الجهل بالملازمة المذكورة فنسبة هذا الأمر إليهم، نسبة لهم من قِبَله إلى الكفر - والعياذ بالله - لا إلى التجديد والإصلاح!!

٤- الخروج عن طريقة المذهب ونقد أصوله الفكرية تجديد وإصلاح!

قال الكاتب: (**الثاني: التيار التجديدي من خارج الحوزة: .. وينطلق هذا الاتجاه في مشروعه من اعتماد آليات في الفكر الديني لا تنتمي إلى الموروث المعمول به داخل الحوزات اليوم .. ومن أبرز تجارب هذا النوع .. إضافة إلى التيار النقدي في الداخل الشيعي المذهبي، والذي سعى لنقد الأصول الفكرية الشيعيّة مثل**

أبي الفضل البرقعي ..)[١].

ونحن نسأل: كيف صار اعتماد آليات في الفكر الديني لا تنتمي إلى الموروث المعمول به داخل الحوزات اليوم، والسعي لنقد الأصول الفكرية الشيعية تجديداً وإصلاحاً من خارج الحوزة؟!

أوليست الطريقة المعمول بها في الحوزات الشيعية اليوم هي التي تسالم عليها الفقهاء من أصحاب الأئمة عليهم السلام ـ كزرارة بن أعين ومحمد بن مسلم وهشام بن سالم وبريد بن معاوية العجلي رضي الله عنهم ـ عن الأئمة عليهم السلام يداً بيد، ثم أخذها عنهم علماء الصدر الأول ـ كالصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي رضي الله عنهم ـ القريبوا العهد من الأصحاب والذين عاصر جملة منهم زمن الغيبة الصغرى ـ كعلي بن بابويه والد الصدوق ومحمد بن الحسن بن الوليد شيخه ـ وتناقلها عنهم علماء هذه الطائفة ومحققوها في كل عصر جيلاً بعد جيل إلى أن وصلت إلينا؟!

أو ليس علماء الشيعة ـ أعلى الله كلمتهم ـ على رغم اختلافات الرأي الموجودة بينهم فيما يرجع إلى المسائل الفقهية أو الأصولية النظرية التي تقبل وقوع الاجتهاد فيها، متفقون جميعاً على طريقة واحدة في محاكمة هذه المسائل والتوصل إلى نتيجة فيها؟!

فالكل متفقون على:

---

(١) راجع ص ٢٨ و ٣١.

ـ بطلان العمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسدِّ الذرائع و..، وأن أحكام الله عز وجل ليست مسرحاً للعقول بل اللازم هو التعبُّد بما أفضى إليه الدليل لقصور عقول البشر عن درك المصالح والمفاسد الواقعية.

ـ وأن روايات العترة الطاهرة المدوَّنة في الأصول والكتب المشهورة لها المرجعية الأولى بعد كتاب الله في معرفة الدين واستنباط أحكامه، فلا يجوز نبذها خلف الظهور أو تهميشها.

ـ وأن الاجتهاد لا يكون في ثوابت الدين ومسلمات المذهب.

ـ وأن لله في كل واقعة حكماً ثابتاً لا يتغيَّر ولا يتبدَّل قد يصيبه الفقيه تارة ويخطئه أخرى وهو في كل ذلك معذور إذا جرى في استنباطه لحكم الله على الآليات المعمول بها في المذهب الحق وبذل الوسع وبلغ الغاية في استقصاء الأدلة وتحري الواقع، و..

أوليست هذه الطريقة هي المقصودة (**بآليات الفكر الديني الموروثة والمعمول بها داخل الحوزات اليوم**) والتي يرى الكاتب في الخروج عنها تجديداً وإصلاحاً؟! ولذلك تأتى له عدُّ مثل أبي الفضل البرقعي[1] من دعاة التجديد والإصلاح في المذهب الشيعي ولكن من

---

(١) يُسقط البرقعي مصادر الحديث الشيعية عن الحجية بالكلية وعلى رأسها كتاب الكافي الشريف، حيث ألف في إسقاطه كتاباً بالفارسية عنوانه (عرض أخبار أصول بر قرآن وعقول) أي (عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول)، وقام أبو منتصر البلوشي ـ أحد علماء السنة السلفيين المعروفين بنصبهم ـ بترجمته إلى اللغة العربية وأسماه (كسر الصنم)، وقد ملأ البرقعي كتابه هذا بالأكاذيب والافتراءات

خارج الحوزة.

* وكيف صار السعي لنقد أصول مذهب الشيعة تجديداً وإصلاحاً له من خارج الحوزة؟!! وهل أن الكاتب كان يعي معنى كلمة (التجديد) عندما كتب هذه السطور؟!!

فلئن كان الفرق بين (**التجديد**) و(**التبديد**) يسيراً في خط الكتابة ومما يمكن أن يقع اللبس والاشتباه فيه، فهل الفرق بينهما من حيث المعنى كذلك أيضاً، حتى خفي على كاتبنا أن (**اعتماد آليات في الفكر الديني خارجة عن الموروث المعمول به في الحوزات العلمية اليوم**)، و(**الميل إلى الاستنباط من القرآن وحده**)، و(**التشكيك في البديهيات الفقهية الواضحة**)، و(**نقد الأصول الفكرية للمذهب**) و .. كما فعله البرقعي وأمثاله، كل ذلك ليس تجديداً للمذهب من خارج الحوزة، بل تبديدٌ للمذهب من خارج المذهب؟!!

٥ـ الأستاذ أحمد الكاتب والتجديد!

قال الكاتب: (**ولعلّ أبرز هؤلاء السيد محمد حسين المدرسي**

والمغالطات والترهات، وتجاسر فيه على أساطين المذهب أمثال الشيخ الصدوق تَتِّئُ حيث ليس بنظر البرقعي سوى تاجر أرز، والعلامة المجلسي تَتِّئُ الذي ليس بنظره سوى مروِّج للخرافات وحارس للبدع، وأما ثقة الإسلام الكليني تَتِّئُ فقد كان له النصيب الأوفر من اتهامات البرقعي وتجنياته، فالكليني جاهل بالقرآن غير مطّلع على أحوال الرجال، وكتابه الكافي سيما الأصول منه فضيحة له وعار عليه.

الطباطبائي .. وقد يكون الأستاذ أحمد الكاتب فيما أظن قد أخذ الكثير من أفكار المدرسي ..)[1].

ونحن نسأل: أليس في ذكره لتأثُّر أحمد الكاتب بالمدرِّسي الذي هو من أبرز رموز التيار التجديدي الإصلاحي من خارج الحوزة إشعاراً بأن أحمد الكاتب ـ المرتد عن المذهب والمنكر لعقيدة المهدوية التي هي من صلب الدين وقوام المذهب حيث جعلها عقيدة سياسية أنتجها الفكر الشيعي، ثم انجر به الأمر إلى إنكار أصل الإمامة ـ من جملة رموز التجديد والإصلاح بنظره؟!

* وأي معنى لتوصيفه لأحمد الكاتب بالأستاذ؟!

فهل أراد الحكاية عن منصب واقعي يحتله أحمد الكاتب في سلم مراتب الدراسات الأكاديمية أو الحوزوية، كأن يكون أحمد الكاتب أستاذاً ثانوياً أو جامعياً مثلاً، أو أستاذاً في الفقه والأصول أو الفلسفة في الحوزة؟! مع أن الكل يعرف بأن عبد الرسول اللاري المعروف بأحمد الكاتب ليس له نصيب يُذكر من الدراسة الحوزوية أو الأكاديمية.

أم أنه رأى في ذكر اسمه بلا لقب حزازة ما ونوع إهانة له، فأراد الفرار من ذلك التزاماً بأدب الكتابة، فلم يكن أمامه سوى تلقيبه بالأستاذ فإنه ـ لا أقل في عرف مجتمعنا اللبناني ـ عنوان من لا عنوان له؟!

---

(١) راجع ص ٢٨.

ولكن ما معنى هذا التحرج من ذكر أحمد الكاتب بلا لقب مع أننا نجد الكاتب في مقالته يذكر مراجعنا العظام وعلماءنا الكبار بلا أي تلقيب فيقول: الخميني، والحكيم، والخوئي، ومحمد حسين الطباطبائي و..، مجرداً لهم حتى عن مثل لقب السيد، أو عبارة قدس سره؟!

أم أن الكاتب أراد إطراء أحمد الكاتب بمنحه لقب الأستاذ فخرياً لجهوده في تجديد الفكر الديني الشيعي وإصلاحه؟!

ولكن هل غاب عن ذهن الكاتب الروايات الكثيرة الناصة على حرمة تعظيم أصحاب البدع وتوقيرهم، وأن في ذلك هدماً للدين[1]؟!

فعنهم عليهم السلام قولهم: **«من مشى إلى صاحب بدعة فوقره فقد مشى في هدم الإسلام»**، وقولهم: **«من أتى ذا بدعة فعظمه فإنما سعى في هدم الإسلام»**، إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة.

وعلى كل حال فَلَنِعم ما قال الشاعر:

يا ناعي الإسلام قم فانعه   قد مات عرف وبدا منكر

٦ ـ القول بأن أمير المؤمنين عليه السلام ليس قدوة تجديد!

قال الكاتب: (**وهناك أيضاً تجربة الشيخ محمد مجتهد شبستري الذي يتبنى آراء حقوقية جريئة .. كما أنه يقول بأن الإمام علياً عليه السلام**

---

(١) راجع الكافي ١: ٥٤/ باب البدع والرأي والمقاييس، والمحاسن ١: ٢٠٨/ باب البدع.

لا يمكن اعتباره قدوة في تطبيق القضايا الحقوقية، لأن تصرفاته كانت مرتبطة بظرفه التاريخي الذي قد لا يتطابق مع ظرفنا المعاصر)[١].

ونحن نسأل: ما هو الجديد والجريء في هذه المقولة بنظر الكاتب؟ وأين الإصلاح فيها: فهل هو المضمون؟ أم التعبير؟

فإن كان المضمون: فإن مسألة اختصاص بعض تصرفاته عليه السلام بظرفه التاريخي الذي قد لا يطابق ظرفنا معروفة بين علمائنا منذ القدم وليست بجديدة، ومما قام عليه الدليل لعدم إمكان تنزيل جملة من أقضيته عليه السلام على القواعد الشرعية المتلقاة عنهم عليهم السلام، وهي عين ما يُعبِّر عنه فقهاؤنا رضي الله عنهم بأنها (قضية في واقعة) فلا يُستفاد منها حكم كلي، وقد ذكر هذا الاحتمال من تعرَّض لأقضية أمير المؤمنين عليه السلام المنقولة في كتب الروايات، كما أنهم ذكروا لذلك حلولاً أخرى، وعليه فما معنى أن ينسب الكاتب شبستري إلى الجرأة في تبنيه لمسألة متسالم عليها، وهل أنه خفي على الكاتب كون المسألة معروفة محررة ؟!

وإن كانت الجدّة والجرأة في هذه المقولة في نظر الكاتب هي في التعبير لا المضمون: فإن علماءنا بل أصاغر الطلبة الذين قرؤوا كتاب (أصول الفقه) لما كان واضحاً عندهم أن إجمال قول المعصوم أو فعله عليه السلام من حيث الدلالة في القول أومن حيث الظروف المقتضية للفعل، وإن كان يسقطهما عن الحجية بالنسبة إلينا، إلا أنه لا مساس له بكون المعصوم عليه السلام قدوة بوجه، إذ لو ارتفع الإبهام عن قوله وعلمنا

---

(١) راجع ص ٢٩.

بالظروف التي اقتضت تصرُّفه بالنحو المعيَّن، وتكرَّرت الظروف نفسها في عصرنا الحاضر، لما كان لنا سوى الاتباع لقوله والاقتداء بفعله عليه السلام.

ثم إننا ذكرنا أن هذا المعنى كان واضحاً عند الأعلام محرراً في كتبهم، وقد دأبوا على التعبير عن مثل ذلك بـ(الفعل المجمل) أو (قضية في واقعة).

ولكن صاحب هذه المقولة لما كان من دعاة الإصلاح وممن أصابتهم حمّى التجديد لم يرَ ضرورة للتقيد بالاصطلاح العلمي الذي جرى عليه علماء الطائفة أزيد من ألف سنة، فعبَّر عن إجمال بعض أقضية أمير المؤمنين عليه السلام بأنه (لا يمكن اعتباره قدوة) عبر ممارسة ارتجالية وعشوائية لاستعمال مصطلح (القدوة) من دون الاكتراث لما يترتب على ذلك من آثار سلبية، كالحط من شأن أمير المؤمنين عليه السلام وسقوط شيء من قدسيته في نفوس القراء، لعدم تنبههم إلى أن اصطلاح القدوة أسقطه صاحب هذه المقولة على هذا المورد إسقاطاً ـ لغاية في نفس يعقوب أخفاها ـ من دون أن يكون مورداً لاستعماله أصلاً.

ثم جاء الكاتب ليشكر لصاحب هذه المقولة ممارسته العشوائية هذه لاستعمال مصطلح (القدوة) عبر توصيفها بأنها جريئة، وعدِّها إصلاحاً وتجديداً!!

وعلى كل حال فإن الكلام عن حرب المصطلحات، وتلاعب دعاة التجديد والحداثة بها، واستعمالها في غير مواردها، أو إسقاطها على بعض المفاهيم الدينية، بما يخدم مصالحهم ويحقق مآربهم، حديث ذو شجون، ولم يكن غرضنا هنا سوى الإشارة، وظني أن فيها الكفاية ..

فالعبد يُقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة

٧ـ رد الأخبار وتأسيس منهج فقهي لا يعتمد عليها تجديد!

قال الكاتب: (ومن النماذج البارزة ضمن هذا الاتجاه أيضاً السيد محمّد جواد الأصفهاني... وله كتاب يحمل عنوان: "حول ظن الفقيه" يعتقد فيه بأن خبر الواحد ليس حجّة في علم أو عمل، وهي فكرة لا تكاد تفعّل إلا على حساب الإطاحة بالكثير من الأفكار الفقهية، وله كتاب آخر بعنوان "البحوث الاستدلالية" وفيه منهج فقهي متكامل لا يقوم ـ إلى حد ما ـ على أخبار الآحاد، وذلك بالطبع يتطلب تعديل البُنى الأصولية القائمة والاستعاضة عنها ببُنى أصولية جديدة ترتكز أساساً على اليقين والنتائج المؤكّدة)[١].

أقول: لا يكاد ينقضي تعجبي من قول الكاتب ـ معقباً على قول من يعتقد أن خبر الواحد ليس بحجة في علم ولا عمل ـ بأن **(فكرة عدم حجية أخبار الآحاد في علم أو عمل لا يمكن أن تُفعَّل إلا على حساب الإطاحة بالكثير من الأفكار الفقهية)!!**

فما هو مراد الأستاذ حب الله من القول بأنَّ فكرة عدم حجية أخبار الآحاد لا يمكن أن تُفعَّل إلا ..؟

فإن كان مراده هو: رد أكثر الأخبار المودعة في الكتب المعتبرة

---

(١) راجع ص ٢٩.

والمشهورة بحجة أنها أخبار آحاد، وبالتالي بناء منهج فقهي لا تُمثّل هذه الكتب مرجعيةً بالنسبة إليه، كما يظهر صريحاً ممن نقل عنه إنكاره لحجية أخبار الآحاد، فإن هذا خلاف ما أجمعت عليه كلمة علماء ومحققي الشيعة من كون أخبارنا المودعة في كتبنا المعتبرة هي المرجع في معرفة الدين وأخذ الأحكام، وحسبُك في هذا المجال ما ذكره شيخ الطائفة الطوسي قدس سره في عدّته حيث قال:

«فإني وجدتها ـ أي الفرقة المحقَّة أعلى الله كلمتها ـ مجمعة على العمل بهذه الأخبار التي روَوها في تصانيفهم، ودوّنوها في أصولهم، لا يتناكرون ذلك ولا يتدافعونه، حتى أن واحداً منهم إذا أفتى بشيء لا يعرفونه سألوه من أين قلت هذا؟ فإذا أحالهم على كتاب معروف، أو أصل مشهور، وكان راويه ثقة لا ينكر حديثه سكتوا وسلّموا الأمر في ذلك وقبلوا قوله، وهذه عادتهم وسجيتهم من عهد النبي صلى الله عليه وآله ومن بعده من الأئمة عليهم السلام، ومن زمن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام الذي انتشر العلم عنه وكثرت الرواية من جهته»[1].

وقد ذكر الشيخ الأعظم قدس سره في رسائله[2] ما محصّله أن معنى إجماع الأصحاب الذي نقله شيخ الطائفة قدس سره على العمل بأخبار الكتب المعروفة هو الإجماع على الرجوع إلى هذه الكتب والتعويل عليها وعدم جواز رد

---

(١) عدة الأصول للشيخ الطوسي ج١ ص١٢٦.

(٢) فرائد الأصول ١: ٣٢٤.

أكثر أخبارها بحجة أنها أخبار آحاد، بل قد ذكر في موضع آخر منها[١] أن أصل وجوب العمل بالأخبار المدونة في الكتب المعروفة في الجملة مما أُجمع عليه في هذه الأعصار، بل لا يبعد كونه ضروري المذهب.

وعليه، فإن الإعراضَ عن أكثر الأخبار المودعة في كتبنا المعتمدة بحيث تسقط تلك الكتب عن كونها إليها المرجع وعليها المعوَّل ضروريُّ البطلان في مذهب أبناء الفرقة الناجية.

ولذلك نجد أن علم الهدى المرتضى قُدِّسَ سِرُّهُ لما تفرَّد بالقول بانحصار الحجية وجواز العمل بالخبر القطعي الصدور، اضطر إلى دعوى كون أكثر أخبارنا المودعة في كتبنا المشهورة والمعتبرة معلومة، مقطوع على صحتها، إما بالتواتر أو بأمارة وعلامة دلَّت على صحتها وصدق رواتها، وقال: فهي موجبة للعلم مقتضية للقطع، وإن وجدناها مودعة في الكتب بسند مخصوص من طريق الآحاد[٢]، ولم يُلجئه إلى ذلك سوى أنه يرى تبعاً لبقية أعلام المذهب ومحققيه، أن مرجعية هذه الكتب بالنسبة إلى معرفة الدين وأخذ الأحكام من البداهة والوضوح بمكان بحيث إنه يجب الالتزام بها وعدم رفع اليد عنها مهما اختلفت المباني في حجية أخبار الآحاد من جهة كبروية.

وعليه، فكيف يمكن أن يكون الخروج على أمر بهذه الدرجة من البداهة والوضوح لدى أبناء الفرقة الناجية إصلاحاً وتجديدا؟! وكيف

---

(١) فرائد الأصول ١: ٢٣٩.

(٢) رسائل المرتضى ج١ ص ٢٦.

خفي على كاتبنا الألمعي أن إنكار مرجعية الكتب الحديثية المشهورة وتهميشها في مقام معرفة الدين وأخذ الأحكام كما أراده الأصفهاني لا يلزم منه الإطاحة بالكثير من الأفكار الفقهية فحسب، بل يلزم منه الإطاحة بالفقه من أصله وأساسه، بل والإطاحة بالمذهب أيضاً من خلال استلزامه الإطاحة بما يبتني عليه المذهب الحق!! فكيف يكون الالتزام بأمر يستلزم الإطاحة بالمذهب الحق إصلاحاً وتجديداً لهذا المذهب؟!

هذا، وإطلالة سريعة على النتائج الفقهية التي توصل إليها الأصفهاني في كتابه (فقه استدلالي در مسائل خلافي) بناء على مبناه المزعوم، تشهد بصحَّة ما ذكرناه[1].

وإن كان مراد الأستاذ حب الله: عدم حجية خبر الواحد بما هو خبر واحد، مع التسليم بلزوم العمل بهذه الأخبار المودعة في الكتب بالنحو الذي ذكرناه، فإن هذا لا يلزم منه الإطاحة بشيء من الأفكار الفقهية فضلاً عن الكثير منها على حد تعبيره، بل إن الفقه بالنحو الموجود عند الشيعة الإمامية اليوم لم تُرْسَ قواعده إلا على هذا الأساس، فإن قدماء الأصحاب إنما عملوا بأخبار هذه الكتب لكونها في الأعم الأغلب موثوقة ومطمأناً بصدورها، كما

---

(١) ذهب الاصفهاني في كتابه المذكور إلى اعتصام الماء القليل كالكثير وأنه لا ينجس إلا بالتغيُّر، ،وجواز المسح في الوضوء بماء جديد، وصحة غسل القدمين فيه، وأنه لا سنَّ يأس للمرأة أصلاً، ولا حدَّ للنفاس، وانحصار مفطرات الصوم بالأكل والشرب والجمّاع، وطهارة كل إنسان حتى الكافر، وشمول حرمة الغيبة للمخالف بل حتى للكافر، وحلية الحيوانات البرية والبحرية مطلقاً سوى ما نصّ القرآن الكريم على استثنائه، وأن المرتدَّ لا يُقتل أبداً، وأنه لا رجم في الإسلام.

تشهد بذلك سيرتهم العملية في الفقه وعبائرهم المبثوثة في كتبهم.

وما حكاه شيخ الطائفة من سيرتهم واختاره مذهباً له في حجية خبر الواحد، وإن أوهم بدواً القول بحجية خبر الواحد بما هو خبر واحد تعبداً، إلا أن إجادة التأمل فيه وسبرَ مطاويه يشرفان بالباحث على القطع بأن الشيخ قدس سره ـ تبعاً لمن سبقه من الأصحاب ـ لم يكن يرى أزيد من حجية الخبر الموثوق بصدوره، إما للوثوق برواته أو لتوفر قرائن توجب الوثوق بالمروي وإن لم يكن رواته موثوقاً بهم، ولذلك قال شيخنا الأعظم قدس سره في رسائله: «والإنصاف: أنه لم يتضح من كلام الشيخ دعوى الإجماع على أزيد من الخبر الموجب لسكون النفس ولو بمجرد وثاقة الراوي وكونه سديدا في نقله لم يطعن في روايته»[١].

بل حتى بناء على رفض فكرة موثوقية تراثنا المروي في الكتب المعتبرة بأغلبه والالتزام بالنظرية القائلة بأن خبر الواحد بما هو خبر واحد حجة تعبدية وأن الاعتبار بوثاقة الراوي فحسب كما هو مذهب مثل المحقق الأردبيلي وسيد المدارك وأخيراً السيد الخوئي قدَّس الله أسرارهم، فإن العمل على هذا المبنى وإن أوجب تضييق دائرة الأخبار المعمول بها عندهم عما هي عليه عند مشهور العلماء كما يقف عليه المراجع لفقههم، غير أن المرجع بالنسبة إليهم في معرفة الأحكام الشرعية لم يخرج عن كونه هو الأخبار المودعة في كتبنا الحديثية، وهذه كتبهم شاهد صدق، فراجع.

---

(١) فرائد الأصول ١: ٣٣٢.

فظهر أن الاتفاق واقع بين علماء الشيعة قاطبة منذ اليوم الأول وحتى يومنا هذا على أن العمدة في معرفة الدين وأخذ الحلال والحرام هو كتب الروايات المشهورة والمعتبرة عند الطائفة، وإنما وقع الخلاف بين المحققين في أن الأخذ بأخبار هذه الكتب هل هو من باب كونها في الأعم الأغلب مما يمكن تحصيل الوثوق بصدوره كما عليه مشهور العلماء، أو من باب كونها أخبار آحاد ظنية الصدور قام الدليل على حجيتها كما هو مذهب بعض المتأخرين ومتأخريهم، أو لكونها موجبة للعلم مقتضية للقطع كما عليه المرتضى.

ولكن أين هذا من إنكار مرجعية هذه الكتب والميل إلى الاستنباط من القرآن وحده، والتأسيس لمنهج فقهي لا يقوم ـ إلى حد ما ـ على الأخبار، و الذي يرى الكاتب فيه تجديداً وإصلاحاً؟!!

ثم إن الأعجب من ذلك قوله: (**وفيه منهج فقهي متكامل لا يقوم ـ إلى حد ما ـ على أخبار الآحاد، وذلك بالطبع يتطلب تعديل البُنى الأصولية القائمة، والاستعاضة عنها ببُنى أصولية جديدة ترتكز أساساً على اليقين والنتائج المؤكّدة**).

فهل يريد أن يقول بأن البنى الأصولية المعتمدة إلى حد كبير على الأخبار لا تفيد إلا الظن والتخمين، لذا يجب استبدالها بما يفيد القطع والعلم؟

أو يريد أن يقول بأن البنى الأصولية المعمول بها عند الشيعة الإمامية بقطع النظر عما كان مدركها لا ترتكز على اليقين؟

وعلى كلا الاحتمالين كيف ساغ عند الأستاذ حب الله ابتناء الفقه الشيعي على الظن والتخمين؟!!

ولا أدري كيف صارت البنى الأصولية المعتمدة على الأخبار مرتكزة عنده على الظن، والمفروض أن مآلها إلى القطع وهو الأساس الذي يجب أن تنتهي إليه حجية كل حجة، ودليلية كل دليل؟!

ولماذا صار الاقتصار على القرآن وحده ونبذ أخبار العترة الطاهرة موجباً لارتكاز البُنى الأصولية على اليقين بنظره؟!

أوليست آي الكتاب ـ مع كونها قطعية الصدور ـ في الأعم الأغلب ظنية الدلالة؟! فكيف صارت بنظره ركيزة لليقين والنتائج المؤكَّدة دون الأخبار؟!

ولئن كانت البُنى الأصولية المستفادة من آي الكتاب تكتسب يقينيَّتها من انضمام أدلة قطعية أخرى إليها، كالسيرة العقلائية القطعية القائمة على العمل بالظهورات مثلاً، فلماذا لا تكون البُنى الأصولية المستفادة من أخبار العترة الطاهرة كذلك؟!

أم أن البنى الأصولية المستفادة من آي الكتاب تكتسب اليقينيةَ من السيرة العقلائية القطعية القائمة على العمل بالظهورات، وتصير نتائج مؤكَّدة ببركتها، دون أن تؤثر هذه السيرة مع أختها القائمة على العمل بأخبار الثقات هذا الأثر بالنسبة للبنى الأصولية المستفادة من الأخبار؟! فالباء في القرآن تجر، وفي الأخبار لا تقوى على جر نفسها!!

ثم نتساءل كم هي البُنى الأصولية التي يمكن استفادتها من القرآن وحدَه حتى تفيَ ببناء (**منهج فقهي متكامل**) على حد تعبير الكاتب؟!

ثم لماذا هذا التحامل على أخبار العترة الطاهرة، في حين أننا مأمورون بالسير على هديها وانتهاج منهجها؟

هل المطلوب إحياء بدعة (حسبنا كتاب الله)، والرد على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله القائل: «إني تارك فيكم الثقلين ..»، وبالتالي نبذ العترة الطاهرة ظهرياً!!

٨ ـ التعددية الدينية إصلاح وتجديد!

قال الكاتب: (ومن أبرز تجارب هذا النوع من التجديد تجربة الدكتور عبد الكريم سروش... الذي كتب في أواخر الثمانينات مجموعة مقالات في مجلة (العالم الثقافي)، ثم جمعها في كتاب أسماه (القبض والبسط النظري في الشريعة) وقد تمّت ترجمة الكتاب من قبل الدكتورة دلال عباس إلى العربية، وقد أثار هذا الكتاب ضجّة دامت أكثر من سبع سنوات متواصلة، فكتبت حوله مئات المقالات وعشرات المؤلّفات.

وتتلخّص نظرية الكتاب التي يطرحها سروش في أن كل العلوم البشرية مترابطة ومتداخلة فيما بينها تماماً كالسبحة في اليد، فعندما يحصل تغير أو تحرّك في أي من هذه العلوم، فإن ذلك يؤثر بصورة أو بأخرى على العلوم الأخرى، وأي علم يخضع لتطوير أو تغيير فمن الطبيعي أن يترك أثراً في بقية العلوم الأخرى.

ومؤدى هذه النظرية أن تطور العلوم الطبيعية والإنسانية يجب أن ينعكس على الفقه والعلوم الدينية المختلفة، ليس بما ينسجم مع هذه العلوم بل بما يستدعي الاستجابة لتلك التطورات، وبالتالي فإن قراءتنا للدين سوف تتغير حسب التطورات العلمية المختلفة،

والسبب في ذلك أن الفهم الديني فهم بشري يخضع في قراءته للدين إلى تلك المعطيات العلمية والفلسفية التي كان العقل البشري قد اختارها في مرحلة سابقة، فكلما تحوّلت هذا المعطيات المسبقة كلّما تم فهم الدين فهما مختلفاً.

ويستشهد سروش بعدّة قضايا تاريخية يثبت من خلالها أن المعرفة الدينية نسبية بهذا المعنى، وأن كل إنسان يقرأ الدين وفق المناخ الثقافي الذي يعيشه، وهذا ما دفع بسروش فيما بعد إلى تكوين نظرية التعددية الدينية في المناخ الشيعي والتي أثارت زوبعة من النقد والدفاع.

وقد ردَّ عليه كثيرون أبرزهم الشيخ صادق لاريجاني ـ عضو مجلس صيانة الدستور حالياً ـ فقد ألف كتاباً حمل عنوان (المعرفة الدينية) ترجمه إلى العربية الدكتور محمد شقير، يدَّعي فيه أن هذه النظرية ليست بجديدة في الفكر الغربي)[1].

أقول: كيف صار الدكتور سروش القائل بعدم الثبات في الدين أصلاً، ونسبية الفهم الديني، والقائل بالصُرُط المستقيمة لا الصراط المستقيم الواحد، من أبرز رموز التيار التجديدي الإصلاحي من خارج الحوزة؟!

وكيف صارت الأديان المتعددة بتعدد الأفهام ـ داخل المناخ الشيعي ـ

---

(١) راجع ص ٣٠ ـ ٣١.

تجديداً وإصلاحاً لدين الله الواحد؟!

وكيف نفسِّر إسهاب الكاتب في شرح بعض الأفكار والتعريف بقائليها، كآراء محمد حسين المدرسي، ومحمد مجتهد شبستري، وعبد الكريم سروش، مردفاً لها بعبائر تُشعر بالمدح والإطراء كعبارة (**وهو موثَّق بمئات المصادر**)[١]، أو (**يتبنى آراء حقوقية جريئة**)[٢]، أو (**ومن أبرز تجارب هذا النوع**)[٣]، بينما نراه يقتضب غاية الاقتضاب في بيان الأفكار المناهضة لهؤلاء والتعريف بقائليها، مردفاً لها بما يُشعر بضعفها، كقوله عن رد الشيخ صادق لاريجاني على سروش: (**يدَّعي فيه أن هذه النظرية ليست بجديدة في العالم الغربي**)[٤]؟!

أوليس هذا الأسلوب في التعبير نحو انحياز إلى فكرة دون أخرى وإلى تيار دون آخر، وإن لم يكن تبنياً صريحاً؟! أولا يُشعر قوله السابق: (يدَّعي فيه .. الخ) بنحو دفاع عن سروش، برفض نسبته إلى اجترار ما عند الفلاسفة الغربيين وعدم الإتيان بجديد؟! أليس في اختزاله للجهد العلمي الكبير الذي قام به الشيخ لاريجاني في ردِّه على سروش بكلمة (يدَّعي .. الخ) نوع تسخيف لهذا الرد بإخراجه عن كونه نقداً علمياً لمضمون نظرية التعددية الدينية إلى كونه نزاعاً في تاريخ نشوء هذه النظرية؟!

---

(١) راجع ص ٢٨.
(٢) راجع ص ٢٩.
(٣) راجع ص ٣٠.
(٤) راجع ص ٣١.

كما لنا على ما ذكره في تلخيصه للمشهد عدة ملاحظات:

١ـ حرمة عرض البا ـل والتنبيه إليه

لا نظن أن الكاتب يعتقد أن المشهد الثقافي الإيراني باتجاهاته المتعددة وتياراته المختلفة لا يحتوي في داخله على تيارات أو عناصر ضالة ومنحرفة، كيف وقد اعترف هو نفسه بأن (**الاتجاه التجديدي الإصلاحي هو عبارة عن اتجاهات وأطياف متعددة تبلغ بتعددها حد التناقض**)[1]؟! وإن كانت هذه الاتجاهات أو الأطياف ـ على حد تعبيره ـ متناقضة فلا يمكن كونها حقّة بأجمعها ـ إذ الحق والباطل نقيضان وهما لا يجتمعان ـ بل يمكن أن يكون بعضها حقاً وبعضها الآخر باطلاً، كما يمكن أن تكون اتجاهات وأطياف التيار التجديدي جميعها باطلة ويكون الحق في مقابلها كما نعتقد، وما يقابلها هو التيار التقليدي المدرسي المتمثِّل بمراجع التقليد وأساتذة الحوزة على حد تعبير الكاتب.

وعليه، فإن وصول الكاتب إلى مرامه من تلخيص المشهد الثقافي الإيراني، والتعريف بتياراته المختلفة وأبرز رموزها الفكرية يستدعي عرضه ـ ضمناً ـ لبعض التيارات الفكرية الضالة والمنحرفة وبعض رموز

---

(١) راجع ص ٢٤.

الضلال، ولذلك كان لا بد للكاتب من التنبيه على أن عرضه لأي تيار في ضمن هذا المشهد وذكره لأي رمز من رموزه الفكرية لا يعني قبوله لهذا التيار وتبنيه لأفكار هذه الشخصية، فقال: (**يمكن عرض المشهد الثقافي والفكري في الساحة الإيرانية بإيجاز بالغ ـ مقدّمةً لعرض تصوّراتنا عن نقل هذا المشهد إلى العالم العربي ـ عبر تلخيصه باتجاهين رئيسين، دون تبنّي أيّ منها فعلاً أو الدفاع عنه، وإنما محاولة لعرضه وقراءته، والكشف عن أبرز رموزه الفكرية وناشطيه**)[١].

ولكن نقول: ـ مع غض النظر عما أثبتناه من عدم اقتصار الكاتب على مجرَّد العرض وتقحُّمه في التقييم والتبني ـ هل المحذور في عرض الباطل أو التنبيه عليه مختص في حال إيهام ذلك تبني ناقله له، بحيث يرتفع المحذور والإشكال بنفي التبني له؟

وهل يجهل الكاتب بأن في عرض الفكر الضال أمام غير المأمونين عن التأثر به والانحراف بسببه ـ لعدم قدرته على تمييز أو رد الباطل الذي يشتمل عليه ـ يمثل إضلالاً لضعفاء المؤمنين؟!

واحتمال تأثر الضعفاء بتوسط عرض الفكر الضال أمامهم لا سيما مع طرح الشبهات دون التعقيب ببيان فسادها احتمال عقلائي، وحيث إن النظر يكون إلى أهمية المحتمل فلا شبهة في أن مثل هذا الاحتمال

---

(١) راجع ص ٢٣.

يُحتّم على أصحاب النوايا الصادقة أن لا ينقلوا الفكر الضال ويعرضوه للآَخرين إلا مقروناً بالجواب عنه بنحو كاف شاف، من خلال الإسهاب في بيان وجه المغالطة فيه، والكشف بالحجج والأدلة عن الباطل الذي يحتويه؟!

على أن التأمل في أوامر ونواهي الشريعة الغراء ـ وهي الشريعة اللطيفة بالعباد ـ يحمل كل ذي منصف صادق الإيمان على القول بأن بعض الشبهات التي هي من مزال الأقدام لا يجوز نقلها والتنبيه عليها ولو مقرونة بالجواب عنها. نعم يجوز الكلام فيها في مقام رفع الشبهة لو طَرأت على بعض الناس، وأما التنبيه إلى الشبهة ثم محاولة رفعها فهذا مما لا يمكن أن يقبل به متدين، وأي دين يجوز عنده تشويش وتشكيك أذهان التابعين له بشبهات خطيرة وبالتالي فقد يُوفَّق الإنسان لرفعها،وقد لا يُوفَّق لذلك فتبقى عليه تبعة التنبيه إليها؟!

أولم يَنهَ أمير المؤمنين عليه السلام عن الكلام في (القدَر) الذي هو من مزال الأقدام قائلاً: «**بحر عميق فلا تلجه .. طريق مظلم فلا تسلكه .. سرُّ الله فلا تَكلَّفه**»[(١)]؟! أولم يَقُل عليه السلام: «**ولا تكلَّفوا ما لم تُكلَّفوا فإنما تبعته عليكم**»[(٢)]؟!

وعليه، فهل يكفي قول الكاتب (**دون تبني أي منها فعلاً أو الدفاع**

---

(١) توحيد الصدوق قدس سره: ٣٦٥.

(٢) تحف العقول: ١٥٥.

عنه) لخروجه عن تبعة ما يشتمله هذا المشهد الذي قام بتلخيصه من تيارات ضالة منحرفة، مع كون عرض هذه الأفكار والتنبيه إليها من قِبَله على صفحات المجلات والانترنت، حيث تكون في معرض وصول العوَام إليها، ومع عدم إرفاقه لها بأجوبة وافية عنها، وكون جملة منها من مزال الأقدام؟!!

هذا كلُّه على فرض اقتصار الكاتب على هذا المقدار من العرض والتنبيه الذي قام به بتلخيصه للمشهد الثقافي الإيراني، فكيف يكون الحال والكاتب يريد أن يقوم بترجمة هذا المشهد بأجزائه ـ الحقَّة والباطلة ـ وبثِّها وترويجها في المجتمع الإيماني عبر نشرها على صفحات مجلته (نصوص معاصرة) وفي الإنترنت؟!!

٢ـ أين رموز التيار التقليدي؟!

ثم المريب أن الكاتب لم يذكر أية شخصية من رموز التيار التقليدي المدرسي ـ على حد تعبيره ـ واكتفى بالإجمال قائلاً: (**ويتمثَّل في أغلب الشخصيات الدينية التي تصدَّت لمقام المرجعية، أو بعض أساتذة الحوزات**)، مع أنه صرح بأنه يريد الكشف عن أبرز الرموز الفكرية والناشطين في كل تيار، ونراه أسهب في ذكر رموز التيارات الأخرى سيما ما أسماه بالتيار الإصلاحي التجديدي من خارج الحوزة؟!

فهل هذا الإهمال والإجمال هو من آثار كون التيار التقليدي المدرسي (**بيده حالياً الكثير من مواقع النفوذ**) بحسب تعبير الكاتب؟!

وما الذي حمله على زجِّ السيد الخامنئي حفظه الله في تيار التجديد الإصلاحي عنوة؟!

وهل أن ما قام به السيد الخامنئي من إدخال المواد العلمية الجديدة في الحوزات ومن بينها اللغات الأجنبية والعلوم الحديثة، وإجراء نظام امتحانات ونظام قبول بشكل لم يُسبق له مثيل، هي من التجارب المتميِّزة في تطوير لغة الخطاب، وبالتالي فيكون السيد الخامنئي من رموز التيار التجديدي، مع أن أي عاقل يستطيع أن يلحظ عدم ارتباط ذلك بتطوير لغة الخطاب بوجه؟!

٣ـ هل تصفّح الكاتب كتاب (اقتصادنا)؟!

ثم لا أدري كيف صار عند الكاتب أن كتاب (اقتصادنا) للشهيد الصدر قدس سره من أمثلة تجديد لغة الخطاب، مع أن قراءةً سريعة لفهرست الكتاب تكفي أي عاقل ليعرف أن الشهيد الصدر قدس سره لم يكن في هذا الكتاب بصدد تطوير لغة الخطاب وطرح المفاهيم الإسلامية الاقتصادية السائدة بلغة عصرية، بل بصدد رسم المعالم الأساسية والأولية للنظرية الاقتصادية الإسلامية في قبال الغرب الاشتراكي والرأسمالي الذي يزعم أن الإسلام لا يمتلك نظرية اقتصادية. فالسيد الصدر كان بصدد رسم تلك المعالم على أن تكون تجربته تلك محاولة بدائية تُتابَع فيما بعد من قبل الباحثين والمفكرين الإسلاميين ليقوم على أساسها صرح شامخ للاقتصاد الإسلامي، وقد صرَّح الشهيد الصدر قدس سره بذلك كلِّه في مقدِّمة الكتاب، فلتراجع.

٤- رموز مصطنعة لتيار التطوير الفقهي المراحلي!

ثم لا ندري كيف صارت مخالفة السيد محمود الهاشمي في دلالة قوله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ﴾ على خمس أرباح المكاسب (**تدرجاً في طرح الأفكار الجديدة، وتطويراً مراحلياً للمفاهيم الفقهية**)؟!

فإن دلالة الآية على ذلك قد طعن فيها صاحب المدارك[1] من قبل بحجة أن المتبادر من الغنيمة الواقعة فيها غنيمة دار الحرب كما يدل عليه سوق الآيات السابقة واللاحقة، وتبعه الفاضل الخراساني في الذخيرة[2] مضيفاً أن الغنيمة لا تشمل الأرباح لغة وعرفاً، فأين الجدة في ذلك؟!!

على أنه لو فرضنا أن السيد الهاشمي لم يُسبق إلى إنكار دلالة الآية على خمس هذا القسم، فأي تطوير للمفاهيم الفقهية في ذلك مع كونه موافقاً لما أجمع عليه علماء الشيعة بل قامت عليه ضرورة المذهب الحق من ثبوت الخمس في هذا القسم، وإن خالفهم في بعض ما يمكن أن يدَّعى دلالته على ذلك؟!!

على أننا لو تنزلنا عن ذلك فأين التدرج والمراحلية في ذلك؟!

---

(١) مدارك الأحكام ج٥ ص٣٨١.

(٢) ذخيرة المعاد ٤٨٠.

اللهم إلا أن يكون مراده أن السيد الهاشمي مقتنع بالعفو عن خمس هذا القسم في زمن الغيبة، ولكنه يرى ضرورة التدرَّج في طرح مثل هكذا آراء، فيطرح المسألة أولاً على مستوى المخالفة العلمية ريثما تصير الأرضية الحوزوية مهيَّئة لاستقبال المخالفة في مثل هكذا مسألة فتوائياً.

ولكن لا يخفى أن العفو عن خمس هذا القسم في زمن الغيبة لا علاقة له بدلالة الآية على ثبوت خمس هذا القسم وعدمه، بل هو مرتبط بروايات التحليل.

ومع التنزُّل، فلنا أن نسأل عن الداعي من الخوف من المخالفة في مسألة نظرية مدركها الروايات المتعارضة، مع وجود المخالف فيها قديماً وحديثاً؟! فقد حكى هذا القول الشيخ المفيد قُدِّسَ سِرُّهُ في المقنعة[1] عن بعض أصحابنا قدَّس الله أرواحهم، وذهب إليه سلار رَحِمَهُ اللهُ في المراسم[2]، وصاحب الذخيرة في ذخيرته[3]، وحكاه في الحدائق عن شيخه عبد الله بن صالح البحراني وقال: «إنه مشهور الآن بين جملة من المعاصرين»[4]، واستقر رأيه هو على سقوط خصوص سهم الإمام عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيف

---

(١) المقنعة ص ٢٨٥.

(٢) المراسم ص ١٤٢.

(٣) ذخيرة المعاد ص ٤٨١.

(٤) الحدائق الناضرة ج١٢ ص٤٣٨.

منه[1]، كما اشتهر عن السيد الخوانساري قدس سره في عصرنا الحاضر أنه كان يحتاط بطلب الإجازة بالتصرف من دافع الخمس مراعاة لاحتمال بقاء المال على ملك صاحبه للعفو عن خمس هذا القسم في زمن الغيبة.

وأما أصل ثبوت خمس هذا القسم في الشريعة فلا نظنُّ الشك في ثبوته يخطر ببال متفقه، فضلاً عن فقيه كالسيد الهاشمي.

* وأيضاً كيف صار بحث الشيخ حسن الجواهري لجملة من المسائل المستحدثة كالاستنساخ ونحوه إصلاحاً وتجديداً وتطويراً مراحلياً للمفاهيم الفقهية، ونحن لا نكاد نجد واحداً من مراجعنا المعاصرين إلا وقد بحث هذه الأمور وأبدى رأيه فيها؟!

على أنه لو فرضنا أن الشيخ الجواهري تفرَّد ببحث بعض المسائل، فأين الإصلاح في ذلك؟! وهل يجب على المجتهد تفعيل ملكته في كل المسائل الفقهية؟! ألم يكن من الأولى للكاتب بدل أن يحدثنا عن عدد مجلدات كتاب الجواهري، وعنوانه، وعناوين جملة من مسائله و.. أن يذكر لنا ولو واحدة من (**الآليات الفقهية الجديدة**) التي اعتمدها الشيخ الجواهري في كتابه، والتي استدعت عدَّه له في تيار الإصلاحيين دعاة التجديد المتأني للمفاهيم الفقهية؟!!

* وكذلك بدل أن يذكر عدد مجلدات كتاب التسخيري، ويحشو الكلام بجملة من العبائر الخطابية نحو (**مادة مهمة .. إطلالة جديدة ..**

---

(١) الحدائق الناضرة ج١٢ ص٤٥٢.

عرض جديد .. تنظيم مستحدث) أن يشرح لنا معنى **(الآليات المتقدِّمة إلى حد جيد)** التي اعتمدها الشيخ التسخيري في كتابه وأوجبت إدراجه في ضمن التيار المذكور؟! وهل أن الآليات المعمول بها في الحوزات اليوم والمتوارثة جيلاً بعد جيل آليات متأخرة إلى حد ما؟!

ثم إنه كيف صار الشذوذ في بعض المسائل الفقهية،كمسألة الذبح في منى، ورمي الجمار، وحرمة التدخين إصلاحاً وتجديداً، مع كون البحث في هذه المسائل منطلقاً من الآليات الفقهية الموروثة والمعمول بها في الحوزات العلمية، والحال أنك لا تكاد تجد عالماً من قدماء أصحابنا أو متأخِّريهم إلا وله رأي شاذ، حتى قيل (العصمة لأهلها)؟!

عود على بدء

أقول: إذا كانت هذه هي ملامح المشروع التغييري، وهذا هو الإصلاح والتجديد الذي يُراد للمذهب، فإنه لن يكون سوى إفساد وتدمير للدين والمذهب باسم الإصلاح والتجديد، ولن يكون مرتكبهُ سوى مصداق لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾[1].

ولكنَّ الكاتب لم يقتصر على هذا المقدار من التجديد والإصلاح

---

(١) البقرة: ١١ ـ ١٢.

الذي أشار إليه بتلخيصه للمشهد الثقافي الإيراني، بل صرَّحَ بعد ذلك بأن مشروعه يقوم على إفساح المجال للخطأ حتى ينتشر، بل وعلى نشر البضائع كافة ـ بما فيها الفكر الضال والإلحادي ـ في المجتمع الإيماني.

وإليك فيما يلي تصديق ما نسبناه إلى الكاتب من عبائره التي ذكرها في مقالته (لماذا نصوص معاصرة؟).

كيفية الإصلاح من وجهة نظر الكاتب

:

إفساح المجال للباطل كي ينتشر بُغية استبعاده من المجتمع

تمهيد: كيفية استبعاد البا ل من المجتمع بنظر القرآن الكريم.

إن القرآن الكريم نصَّ على حقيقة واضحة يقرُّها العقل والفطرة السليمة في مقام مواجهة الباطل ومحاربته، وهي قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1]، فإنه بحسب النظرة القرآنية شأن الباطلَ هوَ الزوالَ وعدم الثبات، وشأن الحق هو الاستقرار والثبات والدوام، فإذا أردنا للباطل أن يزول من المجتمع ويختفي، فما علينا إلا أن نقوم بنشر الحق وترويجه، فإن الحق شيء والباطل لا شيء، وبمجيء الواقعية تذهب الأخيلة والزخارف أدراج الرياح.

قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[2]، وقال عزَّ من قائلَ: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي

---

(١) الإسراء: من الآية ٨١.

(٢) الأنبياء: من الآية ١٨.

الْأَرْضِ﴾(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فالزبد في هذا الموضع كلام الملحدين الذين أثبتوه في القرآن** ـ بعنوان التفسير والتأويل لا التحريف اللفظي ـ **فهو يضمحل ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، والذي ينفع الناس منه فالتنزيل الحقيقي** ـ أي المعاني الحقَّة والحقائق العلمية التي اشتملت عليها آي الكتاب ـ **الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموضع فهي محل العلم وقراره**»(٢)، وعنه عليه السلام قوله: «**قليلُ الحق يدفع كثيرَ الباطل كما أن القليل من النار يُحرق الحطب الكثير**»(٣).

فهذه هي سنة الله فيما يتعلَّق بالحق والباطل **﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾**(٤)، **﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾**(٥).

١ـ نظرية الكاتب لاستبعاد البا ـل

ولكن الكاتب في مقالته تلك كان له فيما يرتبط بمقارعة الباطل ومحاربته نظرية أخرى مخالفة لما عليه القرآن بل وجميع العلماء والعقلاء، وقد صرَّح بهذه النظرية قائلاً: (**كلي اعتقاد بأننا بحاجة ـ مع**

---

(١) الرعد: من الآية ١٧.

(٢) الاحتجاج ١: ٣٧١.

(٣) ميزان الحكمة ج١ ص٦٥٤.

(٤) و (٥) الأحزاب: من الآية ٦٢، وفاطر: من الآية ٤٣.

كامل الأسف ـ إلى وقت طويل على ما يبدو لكي نفهم أن عرض البضائع كافة هو الذي يخدم الحقيقة)[١]، وقال: **(صحيح أن هناك نتائج إيجابية تحقّقت بالتضييق على الكثيرين من أصحاب الأفكار الضالّة والمنحرفة بحسب التعبير الديني، ولكن الأمر في مثل هذه القضايا لا يُقاس بالأيام ولا بالسنوات، بل يُقاس بالحقب الزمنية وبالأجيال)**[٢]، وقال: **(نحن عازمون على نقل هذا المشهد... متجاوزين مقولة الترويج المذكورة لأن إفساح المجال للخطأ قد يكون أجدى ـ على المدى البعيد ـ لاستبعاده، لا قمعه وإبعاده)**[٣].

أقول: إن نبوغ كاتبنا المذكور قد تجاوز في نظريته هذه كل الحدود، حيث توصَّل إلى ما لم يتوصَّل إليه أحد ممن سبقه، علماء كانوا، أو مفكرين، أو حتى مجرَّد عقلاء، وهو أنك إذا أردت أن تعدم الباطل والبدع والخطأ من المجتمع فما عليك إلا أن تفسِح المجال أمام البدع، بل أكثر من ذلك فعليك أن تقوم بنشرِها وترويجها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وسترى كيف أنها بمرور الأيام ستضمحل وتندثر!!

---

(١) راجع ص ٣٩.
(٢) راجع ص ٤٠.
(٣) راجع ص ٤١.

٢ـ لا تستعجلوا واعتمدوا على نبوءة الكاتب!!

وفي المقابل علينا أن لا نكون عجولين، ذلك أن صاحب هذه النظرية وإن كان يرى أن نشر الباطل والترويج له هو الأجدى في قمعه وإبعاده، إلا أنه مع ذلك يعتقد في أن تأثيرها لا يكون على المدى القريب بل البعيد، والبعيد جداً الذي لا يراه إلا هو وأمثاله من أصحاب النظر الثاقب!! وهذا ما عناه بقوله صريحاً: (**إن الأمر في مثل هذه القضايا لا يُقاس بالأيام ولا بالسنوات، بل يُقاس بالحقب الزمنية وبالأجيال**).

وامتثالاً لما يراه الكاتب المفوَّه المُنَبِّئ فما علينا إلا أن نقوم بنشر الضلال والباطل غير مكترثين بما ينتج عن ذلك من ضلال وإضلال للناس، وإذا ما طولبنا من المولى المنتقم الجبار عن حجتنا في مخالفة ما حكم به الشرع والعقل، نجيب بأننا اعتمدنا في ذلك على إخبار الشيخ حيدر حب الله لنا، حيث اطَّلع الغيبَ، وعلم فأخبر أنه بعد مرور حُقب زمنية وتوالي أجيال متعاقبة سينتج عن نشر الباطل والضلال استبعادهما من المجتمع.

ولا يذكّرني هذا الكلام إلا بذاك الذي تعهَّد ـ فراراً من حكم الملك عليه بالإعدَام ـ أن يُعلّم حمارَ الملك القراءة والكتابة خلال عشر سنوات، ولما لامَه بعض أصدَقائه على تعهده هذا بداهة أن الحمار يستحيل أن يُعلَّم ولو بعد ألف سنة، أجابهم: بأنه من الآن إلى عشر سنين إما أن أموت أنا، أو يموت الحمار، أو يموت الملك.

ولعلَّك تجد ملكاً ـ كذاك الذي في القصة ـ هنا أو هناك يصدِّق بأن

الحمار قد يتعلَّم القراءة والكتابة بعد عشر سنين، ولكنَّ الحمار نفسَه ـ واعتذر من القارئ سلفاً ـ لا يُصدِّق بأن إفساح المجال للباطل بالانتشار يؤدي على المدى البعيد لاستبعاده.

والعجيب أن نظرية الكاتب تقوم على أساس أن الشيء يؤدي إلى ضده؟! فهو يرى أن نشر الباطل أنجع في الوصول إلى الحق، وفي المقابل لا بد وأن يأخذ الضد خلاف حكم ضده، فيكون نشر الحق والصدع به من أضعف الطرق في الوصول إلى الحق، وسامح الله تعالى أنبياءه ورسله كيف أنهم وهم الكاملون لم يهتدوا إلى الطريقة المثلى في مقام هداية أتباعهم، بل على الكاتب أن يسأل الهداية لربه، حيث لم يبعث أحداً من رسله وأنبيائه سالكاً المسلك الذي زعمه الأستاذ حب الله، إذ لم يأت الأنبياء إلا بمقارعة الباطل والهداية إلى الحق ونشره، والأجدى بالمولى تعالى إن كان مريداً لعباده الهداية أن يبعث بالرسل والأنبياء طالباً منهم إفساح المجال للباطل بل والدخول في زمرة المبطلين.

واللطيف ـ ولله تعالى وحده اللطف ـ أن الأستاذ حب الله يتوسل في مقام الوصول إلى الحق من خلال تطبيق النظرية التي ابتكرها وهي بحسب زعمه من الشيء الحق، فهو إما يرى أن نظريته أمراً حقاً فما عليه إلا أن يخفيها ويترك الترويج لها، وإما أنه يراها أمراً باطلاً ولهذا يسعى جهده للترويج لها في الكتب والمجلات والانترنت، وليته يصرح بأن نظريته من الشيء الباطل وبالتالي فمما يوحي بها الشيطان ـ إذ الباطل لا يكون إلا منه ـ فيكفينا مؤونة إظهار ما يكتنف مقالته من باطل.

وها هو الباطل منذ زمن أبينا آدم عليه السلام وحتى يومنا هذا مفسحٌ أمامه المجال للانتشار، وأهل الحق لا يقوون على صدِّه، فلماذا لم يُستبعد من العالم لحد الآن؟! أم أن الأمر يحتاج إلى وقت أزيد من ذلك بنظر الكاتب؟!

وهل يصح من الكاتب الكريم استغفال القراء ـ ولا نريد أن نستعمل تعبيراً آخر ـ إلى هذه الدرجة؟!

٣ ـ الكاتب يتجاوز مقولة الترويج!

وماذا أراد الكاتب من قوله: (**متجاوزين مقولة الترويج**)؟! فهل عنى بذلك التجاوز عنها موضوعاً بمعنى أنه لا يريد فقط أن يفسح المجال للخطأ والباطل أن ينتشر، بل ويُساهم هو في نشره ولكن من دون أن يصدق على ذلك أنه ترويج للباطل؟! كما أكَّد على ذلك في خاتمة مقالته حيث قال: (**من هنا ندعو قرّاءنا الأعزاء لكي يتعاملوا مع وظيفة مجلة نصوص معاصرة تعاملاً يعي أنّها لا تهدف الترويج بقدر ما تهدف نقل المشهد كما كرَّرناه مراراً**)[١].

والذي يلاحظ على ما ذكره، أن الترويج ليس من العناوين القصدية التابع صدقها خارجاً لقصد الفاعل، بل يُنتزع من تحقق الفعل وهو الترجمة والنشر، سواء قصد المترجم والناشر بفعله هذا الترويج أم لا!

---

(١) راجع ص ٤٥.

أم أن الكاتب عنى بقوله متجاوزين مقولة الترويج التجاوز عن حكم ترويج الباطل وعدم العبء بما يُقال من حرمته؟!

وأنت تعرف أنَّ قبحَ ترويج الباطل وكونه حراماً مما قامت عليه ضرورة العقل والشرع!

٤ـ زمننا يختلف عن زمن الشيخ الأنصاري قُدِّسَ سِرُّه

برَّر الكاتب نظريته هذه قائلاً: (**إن زمننا يختلف عن زمن الشيخ الأنصاري، فإنه كان يمكن بإحراق ما يُسمى كتب الضلال ـ والتعبير له ـ وحجبِها في ذلك الزمان الحد من تأثيرها**)[1].

ولكن السؤال المطروح أنه: إذا كان الوضع في زمننا الراهن وفي ظل وجود وسائل الإعلام المكتوب والمرئي والمسموع الحديثة من طباعة وانترنت وفضائيات يختلف عما كان عليه الحال في زمن الشيخ الأنصاري قُدِّسَ سِرُّه، فليس بمقدورنا اليوم حجب الفكر الضال المنحرف عن أمام أنظار وأسماع شبابنا، بمجرَّد منع كتاب انحراف هنا وسدٍّ بوق ضلال هناك.

فهل هذا يعني أنه يجوز لنا أن نساهم في نشر الباطل وترويجه؟!

فهل يخطر في بال عاقل أنه إن لم يكن قادراً على المنع من وقوع

---

(١) راجع ص ٣٨.

الجريمة، جاز له أن يكون شريكاً في الجرم؟!!

أم أن الكاتب أعجبه ما قرأه في علم النحو من قول الشاعر:

إذا أنت لم تنفع فضرَّ فإنما يُرجَّى الفتى كيما يضرَّ وينفعا

فأراد أن يتَّخذ من هذا البيت منهجاً يسلكه في الحياة، وفي أكثر الأمور أهمية وأعظمها خطراً ألا وهو الدين؟!

على أنه من أين تأتى للكاتب أن يُرسل إرسال المسلَّمات أن غرض الشارع من الأمر بإتلاف كتب الضلال وإحراقها هو الحد من تأثيرها فعلاً؟!

فلعلَّها مما لا يرضى الشارع بوجوده ويريد إعدامه كيفما كان حسماً لمادة الفساد ودفعاً لاحتمال تأثّر أحد بها ولو في المستقبل، وهذا له نظائر في الفقه المفروض أنها لا تخفى على أمثاله.

فالمسألة ليست بهذا الوضوح، وهو لم يُقم لنا دليلاً على ما بنى عليه.

٥ـ الكاتب لا يريد أن يكون إطلاقياً!!

وبعد هذا كلّه ماذا ينفع قول الكاتب: (**لا نريد أن نكون إطلاقيين، فنحن لا ندعوَ ـ فعلاً ـ للسماح بكل فكر أو عقيدة أن تنتشر، وإنما نتحدّث عن القاعدة العامّة التي تحتمل استثناءات، يُفترض بها أن لا تأتي على القاعدة فتجرفها وتزيلها ـ عملياً ـ من**

الجذور)[١].

أقول: كيف لا يكون إطلاقياً وهو القائل: (**إن عرض البضائع كافة هو الذي يخدم الحقيقة**)؟! أوليس الجمع المحلى باللام (البضائع) مفيداً للعموم؟! أوليس لفظ (كافة) من ألفاظ العموم؟!

وكيف لا إطلاقياً وهو القائل: (**إن نقل المشهد الثقافي الإيراني بأجزائه بات حاجة ماسة**)[٢]؟! أولا يعني نقل المشهد الإيراني نقل جميع المشهد؟! أوليس من يقول أكلت الرغيف يُفهم منه أنه أكله كلَّه، وإلا لتعيَّن عليه أن يأتي بالبدل فيقول: (بعضَه)؟! ثم إنه لم يكتفِ بذلك بل جاء بكلمة (بأجزائه) ليؤكِّد أن مقصوده نقل المشهد كاملاً، وبجميع أجزائه الحقَّة والباطلة.

بل إن الأمر لم يقتصر على تأكيده على أن المطلوب هو نشر جميع الأفكار، فقد صرَّح بأن مراده ما يشمل الضالة والمنحرفة والفاسدة منها، فقال: (**أليس في إنتاج عملنا الثقافي لمتدين واعٍ مطَّلع على الأفكار الأخرى، بما فيها الأفكار الإلحادية حصانة داخلية ..؟!**)[٣]، مصرِّحاً بأن جزءً من عمله الثقافي هو تعريف المتدينين بالفكر الإلحادي الموجود ضمن المشهد الثقافي الإيراني عبر ترجمته ونشره!

---

(١) راجع ص ٣٨.

(٢) راجع ص ٤١.

(٣) راجع ص ٣٧.

وقال: (**نحن عازمون هنا على نقل هذا المشهد .. لأن إفساح المجال للخطأ قد يكون هو الأجدى ..**)، معلّلاً إرادته لنقل المشهد بأن الأجدى هو إفساح المجال للخطأ.

وبعد هذا كلّه فما معنى ادِّعاء الكاتب عدم كونه إطلاقياً في دعواه إلى نشر الفكر كَافة، وما هو الذي يكون خارجاً من تحت قاعدته العامة الناصة على أن (**الأصل هو السماح لأي فكر أو عقيدة أن تنتشر**)؟!

٦ـ الكاتب لن يتجاوز الخطوط الحمراء!

بعد أن صرَّح الكاتب بأن الأصل في مشروعه هو نقل المشهد الثقافي الإيراني بجميع أجزائه، وأن غرضه من نقل المشهد إفساح المجال للخطأ ونشر الفكر الإلحادي في المجتمع الإيماني، جعل استثناءً خجولاً لهذه القاعدة، فقال: (**فرصة الآخر يجب أن لا نحرمه إياها ما دام منطلقاً من فكر ومنطق، لا من سلاح وقمع وإرهاب وتقتيل، أو تجديف وسخرية واستهزاء غير أخلاقي كما حصل مع بعض الروايات الأدبية وغيرها، التي لم تحترم المشاعر الدينية الصادقة والأحاسيس الإيمانية المرهفة والأوّليّة**)[1].

أقول: لا أظنه عنى بذلك سوى مثل كتاب آيات شيطانية للشيطان سلمان رشدي الذي صدر في الثمانينات وكان فيه حطٌّ من كرامة النبي

---

(١) راجع ص ٤١.

محمد ﷺ، وبعض النتاجات التي صدرت في إيران قبل بضع سنوات والتي كان فيها نوع سخرية بصاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فإن الكاتب بيَّن موقفه من هذه الأعمال قائلاً: (**ولكي نكون رساليين من جانب وواقعيين من جانب آخر يجب أن نصارح قارئنا بأن المشهد الثقافي الإيراني لا يمكن نقله بأجزائه جميعها، فهناك نتاج إيراني لم يسمع به جمهور العرب يتجاوز الخطوط الحمراء الدينية حتى عند أكثر التيارات اعتدالاً وانفتاحاً، كما يحرّك الأحاسيس عند باردي العقل وهادئي النفس، ومن ثم يكون نشر هذه المفاهيم أكبر من قدرة أي طرف فيما نخمّن، سواء كانت قناعتنا ترحّب بنشرها أم ترفض، مما يجعل العرف هنا أقوى من القانون، ومن ثم قد يقضي على المشروع كلّه**)[١].

٧ـ الخطوط الحمراء بين الواقعية والرسالية!!

ونحن إذا أردنا أن نفرز رسالية الكاتب عن واقعيته في هذا الكلام نقول:

إن واقعيته تتجلى في تصريحه بعدم القدرة على نشر مثل هكذا أمور لأنه يمكن أن يقضي على مشروع نقل المشهد برُمَّته.

---

(١) راجع ص ٤١ ـ ٤٢.

ورساليته تتجلى في أنه وبعد اعترافه بتجاوز بعض الكتاب الإيرانيين للخطوط الحمراء دينياً، لم يَحسم للقارئ مسألة قناعته بعدم نشرها، بل أبقى مجال احتمال كونه مقتنعاً بنشر مثل هكذا أمور مفتوحاً بقوله: (**سواء كانت قناعتنا ترحِّب بنشره أم لا**)، ثم وعد ببذل الجهد لنشر ما أمكنه من المشهد الثقافي الإيراني قائلاً: (**نعد القارئ بالسعي قدر الجهد والمكنة لتحقيق ما نصبو إليه من نقَل المشهد الثقافي**)، وإن لم يكن نشر الكل ممكناً لكونه (**أكبر من قدرتنا بل قد يقضي على مشروعنا كلِّه**).

فللَّه درُّها من رساليّة في العمل ليس لها مثيل!!

٨ـ مجلة الكاتب تخصصية!

قال الكاتب: (**أليس هناك فرق بين وسائل الإعلام ذات الطابع العلمي والتخصّصي، وبين تلك العامَّة التي تهدف الدعايةَ للباطل والفساد والانحراف؟! ألا تستحقّ وسائل النقل الفكري العلمي التخصّصي مزيداً من الحريّة مهما كان موقفنا من وسائل النقل العامة كالتلفزيون والصحافة العامّة و...؟!**)[1].

فالكاتب يطالب بحرية نشر الباطل والفساد والانحراف تحت ذريعة أن مجلَّته مجلَّة تخصصية لا تهدف من وراء ذلك الترويج والدعاية

---

(١) راجع ص ٣٧.

للانحراف والفساد ـ والعياذ بالله ـ كما هو شأن وسائل الإعلام العامة، وإنما تهدف إلى تلقيح المجتمع الإيماني، وتحسين نوعية الإيمان بين أفراده، ولو على حساب بعض الخسائر الكميَّة.

أقول: ليس المهم أن يكون عنوان مجلته (**مجلة تخصصية**)، بل المهم أن يكون واقعها كذلك، وأن لا تصل واقعاً إلا إلى أهل الاختصاص الذين يقدرون على التمييز بين فصول هذا المشهد الحقَّة والباطلة، والإجابة على الشبهات والأراجيف التي يتضمنها، وإلا فلا يكون الفرق بينها وبين (**وسائل الإعلام العامة**) التي تهدف الدعاية للباطل ـ على حد تعبيره ـ إلا في العنوان، دون المعنون.

وليت شعري، هل يكفي أن تكتب المجلات والمحطات التلفزيونية التي تُعنى بنشر الأمور غير الأخلاقية على منتجاتها عبارة (**للراشدين فقط**)، لرفع مسؤولية جعلها في معرض وصول الكل إليها؟!

٩ـ أعيدوا النظر ولا تتذرَّعوا بمثل الغيرة على الدين!

قال: (يُفترض بنا أن نعيد قراءة الموقف الفقهي مما يُسمى كتب الضلال، فهل ما قرأه الشيخ مرتضى الأنصاري لا يمكن التمييز فيه بين الرؤية الفقهية الكلية التي تمثل وظيفة الفقيه، والأدوات الميدانية التي تخدم الرؤية العامة، والتي تتحرك تبعاً لحركية الزمان والمكان؟ هل إحراق الكتب هو السبيل الوحيد لمواجهتها؟

وأساساً بأي معيار يوزن الهدى والضلال؟[١]

.. نرفض أشكال الأداء الإقصائي الذي مارسته الأطراف كافّة .. كان ظلماً أن يكفّر أو يضلّل شريعتي لاختلافه في بعض وجهات النظر مع المدرسة الرسمية الدينية .. إن المطالبة باستحضار أفكار شخص ليس تصديقاً له بل هو اعتراف بحقه في أن يحيا في دنيا الفكر والثقافة والأدب[٢].

.. إني أدعو العلماء والفقهاء والكتاب إلى إعادة فهم هذا الموضوع وعدم التذرُّع بمثل الغيرة على الدين و.. للقيام بما قد لا تكون عاقبته خدمة لهذا الدين الذي نعمل جميعاً ـ بحب وإخلاص ـ لكي نخدمه ونخدم أمتنا به[٣]).

أقول: عجباً! فها هو يتذرَّع بالغيرة على الدين الذي يعمل بإخلاص - كما يدعي ـ لخدمته في دعوته العلماء والفقهاء إلى إعادة النظر في أسلوبهم القاسي ـ على حد تعبيره ـ في مواجهة المبتدعين وأهل الريب والتعاطي مع كتب الضلال، فهل الغيرة على الدين حق حصري له؟!

على أننا مهما أعدنا النظر في الموقف الفقهي تجاه ما يُسمّى ـ على

---

(١) راجع ص ٣٧.
(٢) راجع ص ٣٩.
(٣) راجع ص ٣٩ ـ ٤٠.

حد تعبير الكاتب ـ بكتب الضلال، وميَّزنا بين الرؤية الفقهية الكلية التي هي لزوم محاربتها والحد من تأثيرها واستئصالها من المجتمع لكونها مادة إفساد له، وبين الأدوات الميدانية التي تخدم هذه الرؤية العامة والتي قد تختلف باختلاف الظروف من زمان ومكان وغيرهما، وقد تتمثَّل بالإحراق في بعض الحالات، فهل يمكن أن نصل إلى ما توصَّل إليه الكاتب من أن إفساح المجال للباطل والقيام بنشره في المجتمع هو الذي يخدم الرؤية الفقهية العامة ويحقق المصلحة الإسلامية العليا؟!

ومهما أعدنا فهم موضوع أهل الريب والزنادقة والمبتدعين، وميَّزنا بين الرؤية الفقهية العامة التي تتمثل بلزوم محاربتهم وإسقاطهم في المجتمع حتى لا يطمعوا في الفساد في الإسلام، وبين الأدوات الميدانية التي تتغيَّر بتغيُّر الظروف الزمانية والمكانية وغيرها، وقد تتمثَّل بسبِّهم وشتمهم والوقيعة فيهم، بل وهدر دمهم أحياناً كما أفتى الإمام الخميني قدس سره في حق سلمان رشدي، فهل يمكن أن نصل إلى ما توصَّل إليه الكاتب من أن التعريف بفكر هؤلاء وعدَّهم إصلاحيين وتجديديين وكيل عبائر المدح والثناء لهم، هو الذي يخدم الرؤية الفقهية العامة ويحقق المصلحة الإسلامية العليا؟!

وهل يسمى هذا إعادة نظر وفهماً جديداً لمثل هكذا مواضيع، أم أنه اجتهاد صريح في مقابل النصوص الواردة في لزوم محاربة أهل البدع، وحرمة إعانتهم وتوقيرهم، ولزوم منع فكرهم من الانتشار في المجتمع؟!

١٠ـ وللانحراف السلوكي حظه من الترويج أيضاً!

ومن أعجب ما قال في هذا المجال قوله: (**ماذا نفع التهويل في بعض أغنيات مرسيل خليفة إلا نفرة الشباب من الدين؟!**)، فإنه لم يُبال ـ كما سيأتي ـ بترتب خسائر على مستوى كمية التدين والمتدينين في العالم بسبب نشره للفكر الانحرافي الإلحادي في المجتمع بغية تحسين نوعية الإيمان فيه على حد زعمه، فما باله الآن يخاف من نفرة بعض الشباب من الدين بسبب بيان العلماء لحكم التغني بكلام الله عز وجل؟! ولماذا لم يعتبر ذلك من الخسائر الكمية التي تكون لحساب تحسين النوعية؟!

على أن الأمر لا يقتصر على أغاني خليفة ـ الشيوعي الذي تغنى بآي القرآن الكريم ـ بل إن إيجاب الحجاب والجهاد، وتحريم الغناء والرقص والاختلاط و.. كل ذلك يوجب نفرة الشباب من الدين، بل القرآن الكريم يحدثنا بأن إنزال الكتاب وإرسال الأنبياء وإلقاء التكاليف الإلهية على عاتق الناس ما كان يزيدهم إلا نفوراً من الدين ومن الحق.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً**﴾، وقال: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً**﴾، وقال: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورا**﴾.

فما هو الحل في نظر الكاتب؟ فهل كان يجب على الله عز وجل أن

يكف عن بعث الرسل وإنزال الكتب وإلقاء التكاليف حتى لا تنفرَ الشريحة العظمى من الناس منه؟! وهل يجب علينا أن نكف عن بيان أحكام الله ومحاربة الباطل ومقارعته لأجل أن لا ينفر بعض أصحاب النفوس المريضة من سماع الحق؟!

١١ـ المواقف القاسية تجاه رموز الباطل تجعلهم عظماء!

قال الكاتب: (إن ردات الفعل القاسية من جانب التيار الديني صنعت بنفسها عظماء في الطرف الآخر، فكم مرَّة طُبعت كتب الدكتور نصر حامد أبو زيد بعد حكم المحكمة؟! .. وكم مرّة طبعت كتب الدكتور عبد الكريم سروش بعد الأحداث التي وقعت معه في التسعينيات من القرن العشرين؟! هذا درس للجميع ليعرفوا أن القوة هنا للفكر والمنطق والقلم والكلام لا غير .. ألم تتعاطف الكثير من الجماهير مع من قُمع ثم مات مقموعاً وأخذت تحيي ذكره وفكره؟!).

أقول: ألا ينطبق هذا الكلام على الفتوى التاريخية للإمام الخميني قدس سره بارتداد سلمان رشدي وجعل جائزة مالية على قتله لانتهاكه لحرمة النبي محمد صلى الله عليه وآله؟!

فلئن كان حكم المحكمة في مصر على نصر حامد أبو زيد، والأحداث التي وقعت مع سروش في إيران، أدَّيا إلى طباعة كتبهما وانتشارها، فإن فتوى الإمام الخميني قدس سره هذه قد أدت إلى ترجمة

كتاب آيات شيطانية للشيطان سلمان رشدي إلى عشرات اللغات وبيعه بمئات آلاف النسخ!!

وبعد هذا كلّه فكيف يجب أن نفهم قوله: (**هذا درس للجميع ليعرفوا أن القوةَ هنا للفكر والمنطق والقلم والكلام لا غير**)؟!!

فهو تارة يريدنا أن نصدِّق بأن ردات الفعل القاسية من جانب التيار الديني هي التي أدت إلى انتشار كتب هؤلاء المنحرفين، وأخرى يعزو ذلك إلى قوة الفكر والمنطق التي تستند إليها هذه الكتب، وقوة القلم والكلام عند أصحابها!!

على أنه كيف صار انتشار كتب هؤلاء المنحرفين وعدم جدوى المواقف القاسية ـ على حد تعبير الكاتب ـ التي اتَّخذها التيار الديني في قمع فكر هؤلاء ومنعه من الانتشار، دليلاً على قوة هذا الفكر واستناده إلى المنطق؟! فهل إن انتشار فكر إبليس في المجتمع وعدم جدوى دعوات الأنبياء عليهم السلام على مر التاريخ في قمعه يدل على قوة هذا الفكر واستناده إلى المنطق مع أن الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**﴾؟!

أوليس الصحيح أن نعكس الأمر فنستدل من خلال انتشار الأفكار الضالة الواهية ورواجها في المجتمع على ضعف الغالبية العظمى من الناس وأنهم ليسوا أهل فكر ومنطق واستدلال، وإنما هم من الهمج الرعاع الذين يتَّبعون كل ناعق ويميلون مع كل ريح، من دون أن يركنوا إلى ركن العلم الوثيق ويستمسكوا بعروة الإيمان الوثقى؟!

وما هو مراده من المنطق الذي يستند إليه الفكر الضال المنحرف لهؤلاء؟ فإن أراد منه معناه اللغوي فليس ذلك إلا الكلام وقد ذكره! وإن أراد منه معناه الإصطلاحي فكيف يمكن للباطل أن يكون مستنداً إلى المنطق والفكر السليم والبرهان؟! بل لا يمكن للباطل إلا أن يقوم على أساس مغالطات وشبهات يُخيَّل لضعاف العقول أنها دليل وبرهان.

على أننا لم نفهم كيف صار اقتران اسم شخص ما بالضلال والانحراف والصد عن سبيل الله واشتهاره بذلك بين الناس نتيجة لاتخاذ مراجع الدين الموقف الشرعي الصحيح في حقه، يجعل منه عظيماً؟ فهل المواقف الإلهية القاسية المتنوعة والمتعدِّدة المذكورة في القرآن الكريم في حق إبليس وفرعون وأبي لهب جعلت من هؤلاء عظماء أيضاً؟!

وليت شعري، هل خفي على كاتبنا الألمعي الفرق الكبير بين أن يكون المرء مشهوراً وأن يكون عظيماً؟! وأن هؤلاء الذين صاروا بسبب بدعهم وانحرافاتهم ووقوف العلماء في وجههم عظماء بنظره أشبه ما يكونون بذلك الرجل الخامل الذكر الذي قدم مكة المكرَّمة فبال في بئر زمزم فقيل له: لما فعلت ذلك؟ فقال لتذكرني الناس ولو باللعنة!! وفي المثل المعروف (خالف تُعرَف)!!

أعاذنا الله وإياكم من شرور أنفسنا.

نشر الفكر الإلحادي في المجتمع الإيماني بغية تحصينه!!

قال الكاتب: (أليس من الأجدى .. أن نقدِّم للقارئ جرعات من اللقاح المشتمل على عينات من المرض نفسه لكي يقدر بعد الاعتياد على مشاهدة مظاهر التنوع الفكري على ممارسة اختيار واعٍ للفكر الديني؟ أليس في ذلك ضماناً لتحسين نوعية الإيمان وإنْ كان فيه بعض الخسارات على مستوى كمية المتدينين في العالم؟! أليس من المفترض تقديم الكيف على الكم؟! ألم يكن الإنسان أفضل من الملائكة ـ كما يقولون ـ بالاختيار وانتقاء الصراط المستقيم من بين طرق الفساد التي كان بإمكانه سلوكها؟! أليس في إنتاج عملنا الثقافي لمتدين واع ومطَّلع على الأفكار الأخرى، بما فيها الأفكار الإلحادية، حصانة داخلية تتكاتف مع عناصر الحصانة الاجتماعية)[1]؟!

---

(١) راجع ص ٣٦ ـ ٣٧.

ولنا على ما ذكره عدة ملاحظات:

١ـ تلقيح أم نشر للوباء؟!

هل غاب عن ذهن الكاتب أنه في عملية التلقيح تُعطى العيناتُ المرضية (اللقاح) للجهاز المناعي الدفاعي في جسم الإنسان حتى يقوم بالتعرُّف على المرض وتهيئة آلية لمحاربته والقضاء عليه، فيكون على جهوزية تامة للدفاع عن الجسم فيما لو غزاه هذا المرض يوماً ما؟!

ولكن بعد إضعافها إلى حدٍّ لا تستطيع معه الإضرار بالإنسان، والاستيلاء عليه.

فهلا قام ـ وهو الذي يريد تلقيح المجتمع الإيماني ـ بترجمة هذه المقولات الإلحادية الضالة وإعطائها للجهاز الدفاعي في المجتمع الإيماني، ألا وهم أهل الاختصاص من العلماء العدول الأتقياء، حتى يُهيئوا الردود المناسبة لها ويكونوا مستعدين للدفاع عن مجتمع المؤمنين فيما لو تسرَّبت إليه هذه الأفكار الضالة يوماً ما.

وما أبعد ما بين هذا الذي اقترحناه، وما يريد أن يقوم به الكاتب من ترجمة للمقولات الضالة والمنحرفة، ونشرٍ لها على صفحات المجلات والانترنت، وجعلِها في معرض أن يصل إليها كل أحد، علماء وغيرهم!!

ولا أرى الفرق بين الأمرين إلا تماماً كالفرق بين القيام بعملية التلقيح بشكلها الصحيح، والقيام بنشر الوباء في المجتمع الإيماني بذريعة إرادة تلقيحه وتحصينه؟!!

ثم إن الملحدين أنفسهم أحرص على نشر أفكارهم من الكاتب، ولم يُقصِّروا في هذا المجال لحدِّ الآن.

مع أن العلماء هم الحرّاس الأمناء على الدين، فهم يقومون بواجبهم في الرد على أولئك الملحدين وحماية ضعفاء المؤمنين من أن يضلوا بسببها، ولا حاجة لهم إلى ما يقوم به الكاتب من نشرِها بغية تحصين المؤمنين على حدِّ زعمه.

اللهم إلا أن يكون له من وراء نشر الأفكار الإلحادية في المجتمع الإيماني والترويج لها هدف آخر لم يُفصح عنه!!

٢ـ تلقيح أم قتل جماعي؟!

أي قياسٍ هذا قياسُ نشر عينات من الفكر الضلالي الانحرافي الإلحادي (**جرعات من المرض .. بما فيها الأفكار الإلحادية**) في المجتمع الإيماني، على مسألة إعطاء عينات من المرض للإنسان السليم المصطلح عليها بعملية التلقيح؟!

فهل غاب عن ذهن الكتاب أنه ليس كل الأمراض يمكن تلقيح الإنسان منها، وأن دخول ولو عيِّنة صغيرة من بعض الأمراض على جسم الإنسان كفيل بأن يفتك به ويقضي عليه؟!

وهل يمكننا إعطاء عينة صغيرة من مرض الإيدز ـ مثلاً ـ لإنسان سليم بحجة أننا نقوم بتلقيحه؟!!

أوليس قياس الأفكار الإلحادية الضالة والمنحرفة على مثل هذه

الأمراض الفتاكة، التي لا يمكن التلقيح منها، والعقلاء يتحرَّزون عن مقاربتها، ويحجرون على من يُبتلى بها ويعزلونه عن الآخرين خشية العدوى، أولى مما فعله الكاتب؟!

فإن بث الأفكار المنحرفة الإلحادية في المجتمع الإيماني، إن لم يوجب اعتقاد الشريحة العظمى من أبناء هذا المجتمع بهذه الأفكار، واعتناقهم لها، فلا أقل بأنه يوجب تشكيكهم في دينهم ومعتقدهم، لعدم قدرتهم على كشف المغالطة التي تقوم عليها هذه الأفكار، وتفنيد الباطل الذي فيها، مما يودي بهم في نهاية المطاف إلى الكفر والعياذ بالله.

فاللازم علينا هو حفظ المجتمع الإيماني من أن تتسرب إليه تلك الأفكار الهدامة التي تؤدي ـ على أقل تقدير ـ إلى تشكيك الناس في دينها، ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**صُن إيمانك من الشك فإن الشك يفسد الإيمان كما يفسد الملح العسل**»، وفي خبر آخر: «**إياك والشك فانه يفسد الدين ويبطل اليقين**»، وفي ثالث: «**بدوام الشك يحدث الشرك**»، وفي رابع: «**يسير الشك يفسد الدين**»، وفي خامس: «**أن الشك يُطفئ نور القلب**»، وفي سادس: «**أنه يُحبط الإيمان**» إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة[1]؟!

ولهذه الآثار الفتاكة والخطيرة للشك نجد أن رسول الله صلى الله عليه وآله حذَّر المؤمنين من الجلوس عند مدَّعي العلم الذين يدْعون الناس من اليقين

---

(١) راجع ميزان الحكمة ج٢ ص١٤٩٩، باب آثار الشك.

إلى الشك، وأمر بالجلوس عند العلماء الذين يدعون الناس من الشك إلى اليقين، فقال: «**لا تجلسوا عند كل داعٍ مدَّعٍ يدعوكم من اليقين إلى الشك، .. وتقرّبوا من عالم يدعوكم من الشك إلى اليقين**»[1]، وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله قوله: «**لا تجلسوا إلا عند كل عالم يدعوكم من الشكّ إلى اليقين**»[2]؟!

وعليه، ألا يخشى الكاتب على هؤلاء المؤمنين البسطاء الذين يريد أن يُعطيهم جرعات من الأفكار الإلحادية أن يتسرَّب الشك إلى قلوبهم، فيفسد لهم دينهم، وينتهي بهم الأمر ـ والعياذ بالله ـ إلى الكفر؟! بل ألا يخشى أنه بترجمته لهذه الانحرافات ونشرها في المجتمع الإيماني يقوم مجاناً بتقديم سلاح فتاك لهؤلاء المدَّعين غير المأمونين على الدين والدنيا حتى يقتلوا به دين الناس ويودوا بهم إلى الكفر.

٣ـ أية نخبة يريدها الكاتب؟!

لئن تساءل الكاتب في مقالته هذه عن المعيار الذي يزن به فقهاءُ الشيعة ومراجع التقليد الهدى والضلال ألا يحق لنا أن نتساءل نحن عن معيار كون الإنسان مؤمناً واعياً نخبوياً عنده؟!!

فما هي النوعية (النُخبة) التي يريد ـ وهو مهندس إعادة صنع العقول ـ

---

(١) بحار الأنوار ج٢ ص٥٢.

(٢) بحار الأنوار ج٧١ ص١٨٩.

أن يصنعها بنشر الفكر الضال والمنحرف؟!!

فلعلَّها النوعية التي تكون على شاكلته هو الذي يرى في نبذ روايات أهل البيت عليهم السلام، ونقد أصول التشيع و.. مما مرَّ عليك بعضه، تجديداً وإصلاحاً.

أو التي تكون على شاكلة من أجمع مراجع وعلماء عصره على ضلاله وانحرافه، ويراه هو من أكبر المنظرين الدينيين في القرن العشرين، إلى غير ذلك من المنحرفين الذين أفرط في الحديث عنهم وعدَّهم من المجدِّدين المصلحين في مقالته هذه؟!!

٤ـ الفكر النازي لدى الكاتب!!

ألا يذكرنا الحديث بكل بساطة وأعصاب هادئة عن (**بعض الخسائر على مستوى كمية المتدينين في العالم**) وعن ضرورة (**تقديم الكيف على الكم**) بالفكر النازي؟

بل أليس هذا الكلام مما قد تُبيَّض به صفحة هتلر وأمثاله من السفاحين الذين عرفهم تاريخ الإنسانية!!

فإن القضاء على ذوي العاهات والأمراض والبُنى الجسدية الضعيفة، أفضل من الإبقاء عليهم فيعيقون حركة المجتمع ويكونون كلاً عليه ويُشكلون عبئاً على كاهله، وبهذا يُتوصل إلى تكوين مجتمع نخبوي يكون قادراً على أن يحكم العالم، هذه كانت سياسة هتلر، وخلاصة الفكر النازي الذي يحمله!!

ولكن هتلر كان ملحداً لا يعتقد بالله عز وجل، وأما كاتب هذه السطور فمتى كتب له الله عز وجل ـ وهو أرحم الراحمين ـ صك تنازل عن الأكثرية الساحقة من الشيعة الذين هم من العوام والمستضعفين، وفوَّض إليه الأمر إن يشأ يُضللهم، وإن يشأ يُبقهم على الهدى؟!!

أوليس الفكر النازي الهتلري أرأف بهؤلاء الشيعة من فكر كاتبنا المنظِّر؟! أوليس قتل المؤمن وتصفيته جسدياً أهون بكثير عند الله عز وجلَ من قتله معنوياً، أعني قتل روح الإيمان فيه؟!

فالله تعالى قال في كتابه الكريم: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾، وفي مورد آخر: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾، أَي الفتنة فيَ الدين أَعظم من القتل في الشهر الَحرام(١)، ولَذا فُسِّرتَ في بعض الأخبار بالكفر(٢)، وفي بعضها الآخر بالشرك(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: في قول الله تعالى: ﴿**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا**﴾ قال: «**أما لقد سطَوا عليه وقتلوه، ولكن أتدرون ما وَقَاه؟ وقاه أن يفتنوه في دينه**»(٤).

وقال عزَّ من قائل: ﴿**أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي**

---

(١) التبيان ٢: ١٤٦.

(٢) تفسير القمي ١: ٧٢.

(٣) توحيد الصدوق: ٣٨٦.

(٤) المحاسن للبرقي ج ١ ص٢١٩.

الْأَرْض فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

وعن الحسين بن علي عليهما السلام أنه سأله رجل: أيهما أحب إليك: رجل يروم قتل مسكين قد ضعف تنقذه من يده، أو ناصب يريد إضلال مسكين مؤمن من ضعفاء شيعتنا تفتح عليه ما يمتنع به منه ويفحمه ويكسره بحجج الله تعالى؟

فأجابه: «**بل إنقاذ هذا المسكين المؤمن من يد هذا الناصب، إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، أي ومن أحياها وأرشدها من كفر إلى إيمان، فكأنما أَحيا الناس جميعاً من قبَل أن يقتلوهم بسيوف الحديد**»[1].

وعن إمامنا الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية قوله: «**من أخرجها من ضلالة إلى هدى فقد أحياها، ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها**»[2].

وقال جلَّ شأنه: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُتبَ عَلَيْكُمُ الْقصَاصُ في الْقَتْلَى الْحُرُّ بالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بالْعَبْد وَالْأُنْثَى بَالْأُنْثَى فَمَنْ عُفيَ لَهُ منْ أَخيه شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بالْمَعْرُوف وَأَدَاءٌ إلَيْه بإحْسَان ذَلكَ تَخْفيفٌ منْ**

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٤٨.

(٢) المحاسن ١: ٢٣٢، والكافي ٢: ٢١٠.

رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

وعن إمامنا السجاد عليه السلام في تفسير هذه الآيات قوله: «.. **عبادَ الله هذا قصاص قتلكم لمن تقتلونه في الدنيا، وتفنون روحه، أفلا أنبِّئكم بأعظم من هذا القتل، وما يوجبه الله على قاتله مما هو أعظم من هذا القصاص؟**

قالوا: بلى يا بن رسول الله.

قال: أعظم من هذا القتل أن يقتله قتلا لا يُجبر ولا يحيى بعده أبدا.

قالوا: ما هو؟

قال: أن يُضلَّه عن نبوة محمد صلى الله عليه وآله، وعن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ويسلك به غير سبيل الله، ويغريه باتِّباع طريق أعداء علي والقول بإمامتهم، ودفع علي عن حقه، وجحد فضله، وألا يبالي بإعطائه واجب تعظيمه، فهذا هو القتل الذي هو تخليد المقتول في نار جهنم خالداً مخلداً أبدا فجزاء هذا القتل مثل ذلك الخلود في نار جهنم»[٢].

---

(١) البقرة ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٥٩٧.

وعنه عليه السلام أنه قال لرجل من شيعته: «أيهما أحب إليك: استنقاذك أسيراً مسكينا من أيدي الكافرين، أو استنقاذك أسيراً مسكينا من أيدي الناصبين؟

قال: يا ابن رسول الله، سل الله أن يوفقني للصواب في الجواب.

قال عليه السلام: اللهم وفقه.

قال: بل استنقاذي المسكين الأسير من يد الناصب، فإنه توفير الجنة عليه، وإنقاذه من النار، وذلك توفير الروح عليه في الدنيا، ودفع الظلم عنه فيها، والله يعوض هذا المظلوم بأضعاف ما لحقه من الظلم، وينتقم من الظالم بما هو عادل بحكمه.

قال عليه السلام: وفقت لله أبوك! أخذته من جوف صدري لم تجزم ـ أي لم تُنقص ـ مما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله حرفاً واحدا»[١].

وسُئل الباقر محمد بن علي عليهما السلام: إنقاذ الأسير المؤمن من محبينا من يد الناصب يريد أن يضله بفضل لسانه وبيانه أفضل، أم إنقاذ الأسير من أيدي أهل الروم؟

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٤٩.

فقال عليه السلام للسائل: «أخبرني أنت عمن رأى رجلاً من خيار المؤمنين يغرق وعصفورة تغرق لا يقدر على تخليصهما بأيهما اشتغل فاته الآخر؟ أيهما أفضل أن يخلّصه؟

قال: الرجل من خيار المؤمنين.

قال عليه السلام: فَبُعد ما سألت في الفضل أكثر من بعد ما بين هذين، إن ذاك يوفر عليه دينه وجنان ربه، وينقذه من النيران، وهذا المظلوم إلى الجنان يصير»[1].

وعن إمامنا الصادق عليه السلام في بيان عظم خطر علماء السوء قوله: «وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وللمسلوبين عند الله أفضل الأحوال لما لَحقَهم من أعدائهم، وهؤلاء علماء السوء النّاصبون المتشبِّهَون بأنَهم لنا موالون، ولأعدائنا معادون يُدخلون الشك والشُبهة على ضعفاء شيعتنا، فيضلونهم ويمنعونهم عن قصد الحق المصيب»[2].

وبعد هذا كلّه فهل يتحمَّل الكاتب وزر ضلال ولو إنسان واحد بسبب الأفكار الضالةَ المنحرفة التي يريد نشرها والترويج لها في المجتمع

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٤٩.
(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٠١.

الإيماني؟!!

ولئن كان القرآن الكريم توعَّد من يقتل مؤمناً متعمداً بأن جزاءه ﴿جَهَنَّمُ خَالداً فيهَا وَغَضبَ اللَّهُ عَلَيْه وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظيماً﴾[١]، فما هو جزاء من يقوم بإضلال المؤمنين، عبر نشر الفكر الإلحادي وترويج الباطل والبدع ورموزهما في المجتمع تحت ذريعة أنه يريد أن يكوِّن تشيعاً نخبوياً، وأن يُحسِّن كيفية الإيمان ولو على حساب كمية المتدينين؟!!

٥ـ كيفية تحسين النوعية عند أهل البيت عليهم السلام.

نحن نسأل الكاتب: هل انحصر تحسين النوعية بإضلال الأكثرية الساحقة من الشيعة والحكم عليهم بالموت الذي لا يحيون بعده أبداً؟!!

وهل غاب عن ذهن كاتب هذه السطور بأن إتاحة سبُل الفساد أمام المؤمن مما تكفل به إبليس اللعين منذ أن لُعن وطُرد حيث قال: ﴿فَبعزَّتكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعينَ﴾[٢]، وقال: ﴿فَبِما أَغْوَيْتَني لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقيمَ﴾[٣].

وهل غاب عن ذهن الأستاذ حب الله أن ذلك أيضاً مما تكفلت به

---

(١) النساء: من الآية ٩٣.

(٢) ص: من الآية ٨٢.

(٣) الأعراف: من الآية ١٦.

النفس الأمارة بالسوء المودعة في كل إنسان غير معصوم والتي قد تودي به إلى أن يصير من شياطين الإنس كما أن إبليس ـ لعنه الله ـ من شياطين الجن، وقد قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

وهل غاب عن ذهنه أيضاً أن ذلك مما تكفَّل به شياطين الإنس، وما أكثرهم في كل زمان ومكان، وما أعظم خطرهم على الإنسان المؤمن، حتى أن الله عز وجل أمر نبيَّه ﷺ في سورة الناس بالاستعاذة من شياطين الجنة والناس، مما يدل على أن أكبر خطر يمكن أن يدهم الدين ويذهب بجهود النبي الأعظم ﷺ في سبيل إنقاذ البشرية أدراج الرياح هم شياطين الجنة والناس الذين يُضلون المؤمنين ويمنعونهم عن قصد الحق المصيب.

فما يحتاجه المؤمن في ظل تكالب عدوَّيه عليه ـ الداخلي هوى النفس والخارجي إبليس وأعوانه من الناس ـ هو من يُبصِّره طريق الحق، ويمسك بيده ويُعينه على سلوكه والنجاة من شرائك إبليس وجنوده.

وعليه، فالمتعيَّن على من يريد تحسين نوعية الإيمان هو إكمال مسيرة الأنبياء عليهم السلام المتقومة:

---

(١) الجاثية: ٢٣.

ـ بإخراج الناس من الضلال الذي هم فيه عبر تزكيتهم وتثقيفهم بثقافة الإيمان والإسلام، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذي بَعَثَ في الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً منْهُمْ يَتْلو عَلَيْهِمْ آيَاته وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكتَابَ وَالْحكْمَةَ وَإنْ كَانُوا منْ قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ**﴾، من جهة.

ـ وبإنذارهم وتحذيرهم من كل ما يمكن أن يضلهم عن طريق الحق ويودي بهم إلى الهلاك من جهة أخرى، قال عز من قائل: ﴿**قُلْ إنَّمَا أَنَا مُنْذرٌ**﴾، وعن أبي عبد الله عليه السلام قوله: «**وجدت علم الناس كله في أربع: أوَّلها: أن تعرف ربَّك، والثاني: أن تعرف ما صنع بك، والثالث: أن تعرف ما أراد منك، والرابع: أن تعرف ما يخرجك من دينك**»[1].

نعم، هذه هي وظيفة العلماء العدول الذين هم ورثة الأنبياء في زمن الغيبة، وظيفتهم تفقيه الشيعة وإنذارهم، لا بث الشبهات والأفكار الإلحادية بينهم بحجة تحسين نوعية الإيمان.

قال تعالى: ﴿**فَلَوْلا نَفَرَ منْ كُلِّ فرْقَة منْهُمْ طَائفَةٌ ليَتَفَقَّهُوا في الدِّين وَليُنْذرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾.

فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «**من قوّى مسكينا في دينه، ضعيفاً في معرفته على ناصب مخالف فأفحمه، لقّنه الله**

---

(١) المحاسن ١: ٢٣٣، الكافي ١: ٥٠، والخصال: ٢٣٩.

تعالى يوم يُدَلّى في قبره أن يقول: الله ربي، ومحمد نبيي، وعلي وليي، والكعبة قبلتي، والقرآن بهجتي وعدتي، والمؤمنون إخواني، فيقول الله: أدليت بالحجة، فوجبت لك أعالي درجات الجنة، فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة».

وعن مولاتنا فاطمة عليها السلام وقد اختصم إليها امرأتان، فتنازعتا في شيء من أمر الدين: إحداهما معاندة، والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجتها، فاستظهرت على المعاندة، ففرحت فرحاً شديداً، فقالت فاطمة عليها السلام: **«إن فرح الملائكة باستظهارك عليها أشد من فرحك، وإن حزن الشيطان ومردته بحزنها عنك أشد من حزنها، وإن الله عز وجل قال للملائكة: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف ما كنت أعددت لها، واجعلوا هذه سُنَّةً في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان له مُعَدّاً من الجنان».**

وعن الحسن بن علي المجتبى عليه السلام ـ وقد حمل إليه رجل هدية ـ فقال له: **«أيما أحب إليك: أن أرُدَّ عليك بدَلَها عشرين ضعفاً، عشرين ألف درهم، أو أفتح لك بها باباً من العلم تقهر فلاناً الناصبي في قريتك، تُنقذ به ضعفاء أهل قريتك؟ إن أحسنت الاختيار جمعت لك الأمرين، وإن أسأت الاختيار خيَّرتك لتأخذ أيهما شئت.**

قال: يا ابن رسول الله، فثوابي في قهري لذلك الناصب، واستنقاذي لأولئك الضعفاء من يده، قدره عشرون ألف درهم؟

قال عليه السلام: بل أكثر من الدنيا عشرين ألف ألف مرة!

فقال: يا بن رسول الله فكيف أختار الأدْوَن! بل أختار الأفضل: الكلمة التي أقهر بها عدو الله، وأذوده عن أولياء الله.

فقال الحسن بن علي عليهما السلام: قد أحسنت الاختيار، وعلَّمه الكلمة، وأعطاه عشرين ألف درهم، فذهب فأفحم الرجل، فاتصل خبره به عليه السلام، فقال له إذ حضره: يا عبد الله ما ربح أحد مثل ربحك، ولا اكتسب أحد من الأوِدّاء ما اكتسبت، اكتسبت مودة الله أولاً، ومودة محمد صلى الله عليه وآله وعليَ عليه السلام ثانياً، ومودة الطيّبين من آلهما ثالثاً، ومودة ملائكة الله المقربين رابعاً، ومودة إخوانك المؤمنين خامساً، واكتسبت بعدد كل مؤمن وكافر ما هو أفضل من الدنيا وما فيها ألف ألف مرة، فهنيئاً لك هنيئا».

وعن إمامنا الصادق عليه السلام أنه عرَّف علماء الشيعة في زمن الغيبة بأنهم: «مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب».

فعلماء الشيعة شأنهم أن يذبوا الشياطين والنواصب عن ضعفاء الشيعة بأن يردوا شبهاتهم، ويفنّدوا بدعَهم، لا أن يقوموا بترجمتها ونشرها بين الشيعة، ثم يبيِّنَ عليه السلام ماَ لمن يقوم بهذه الوظيفة من علماء الشيعة فقال: «ألا فمن انتصب لذلكَ من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم

والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم».

وعن إمامنا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قوله: «**فقيه واحد ينقذ يتيما من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط وهذا همه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته».**

فالفقيه حق الفقيه هو الذي يُعلِّم ضعفاء الشيعة ما يحتاجونه للوقوف أمام هذه الشبهات التي تتوارد علِيهم من كل حدب وصوب في هذا العصر، عصر العولمة وانفجار المعلوماتية على حد تعبير الكاتب.

الفقيه حق الفقيه هو الذي ينقذ أيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم عجل الله تعالى فرجه الشريف من حبائل هذه الأفكار الإلحادية الضالة المنحرفة، ومن أيدي إبليس ومردته من الجن والإنس، وعند ذلك يكون أشدَّ على إبليس من ألف عابد.

وليس الفقيه من يتكلم عن خسارات على المستوى الكمي للمؤمنين في العالم بكل أعصاب هادئة ودم بارد، ويكون أشدَّ على الشيعة من جيش يزيد بن معاوية على الحسين وأصحابه عليه وعليهم السلام، ويكون عوناً لإبليس وجنوده عليهم.

وعن إمامنا الرؤوف بشيعته علي بن موسى الرضا عليه السلام قوله: «**ألا إن الفقيه من أفاض على الناس خيره وأنقذهم من أعدائهم ووفر**

عليهم نعم جنان الله تعالى وحصَّل لهم رضوان الله تعالى، ويقال للفقيه: يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيهم ومواليهم قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلَّم منك، فيقف فيُدخل الجنة معه فئاماً وفئاماً وفئاما».

فالفقيه منقذ لشيعة أهل البيت عليهم السلام، هاد لضعفاء محبيهم ومواليهم، لا مزدر بهم غيرَ مكترث بضلالهم وانحرافهم في نقل مشهد ثقافي مليء بالشبهات، والأفكار الإلحادية الضالة المنحرفة، خَيِّل له شيطان نفسه أنه بذلك يُحسِّن نوعية الإيمان.

والفقيه هو الذي يَدخل بسببه الجنةَ فئامٌ من الناس، وقد فُسِّر الفئام في بعض الروايات بمائة ألف من الناس[1]، وليس الفقيه من يكون سبباً للخسارات الكمية في صفوف المؤمنين والمتدينين، ويَدخل النار بسببه فئام وفئام.

وعن إمامنا محمد بن علي الجواد عليهما السلام: **«من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم المتحيرين في جهلهم الأسارى في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم وقهر الشياطين برد وساوسهم وقهر الناصبين بحجج ربهم ودلائل أئمتهم ليحفظوا عهد الله على العباد**

---

(١) المحاسن ٢: ٣٩٢، والكافي ٢: ٢٠٢.

.. **فضلهم على العباد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء»**.

فأين ما بيَّنته الرواية من (**استنقاذ ضعفاء الشيعة الحيارى في جهلهم، الأسارى بأيدي الشياطين والنواصب**)، و(**إخراجهم من حيرتهم**)، و(**قهر الشياطين برد وساوسهم**)، و(**قهر الناصبين بحجج الله ودلائل الأئمة عليهم السلام**)، و(**مساعدة الشيعة ليحفظوا عهد الله الذي عهده على العباد من الولاية لآل محمد صلى الله عليه وآله والبراءة من أعدائهم**)، أين هذا كلُّه مما يريده الأستاذ حب الله من بث ونشر للفكر الضال المنحرف بين الشيعة؟!

وعن إمامنا علي بن محمد الهادي عليهما السلام: «**لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يُمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل**».

أقول: ساعد الله قلبك يا مولاي، ليتك ترجع اليوم لترى ـ وأنت ترى ـ من نبت لَحمُهم واشتد عظمهم على أموالكم، وتوجَّهوا بين الشيعة بعلومكم، حتى صاروا يُنسبون إليكم، ويُدعَون من علمائكم، كيف أنهم أول ما اشتد ساعدهم واعتدل لهم قوسهم، وجهوا سهامهم إلى نحور

شيعتكم، وأرادوا فري أوداج إيمانهم، وقتلهم ذاك القتل الذي لا يحيَون بعده أبداً.

فها هم يَدعون إلى غيركم، ويذبون عن أعدائكم، وينصبون الشباك والفخاخ لضعفاء شيعتكم، غيرَ مبالين في أن يرتد فئام وفئام من الشيعة عن دين الله.

وها هم يُدخلون الشك والريب والشبهة إلى قلوبهم بدلَ أن يمسكوا بأزمَّتها.

وها هم يكفؤون السفينة بهم وسط بحر لجي من الشبهات والبدع والأفكار الإلحادية الضالة المنحرفة، بدلَ أن يقودوها إلى شاطئ الأمان.

وعن إمامنا أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام: «**إن محبي آل محمد صلى الله عليه وآله مساكين، مواساتهم أفضل من مواساة مساكين الفقراء، وهم الذين سكنت جوارحهم وضعفت قواهم من مقاتلة أعداء الله الذين يعيِّرونهم بدينهم ويسفهون أحلامهم، ألا فمن قواهم بفقهه وعلمه حتى أزال مسكنتهم ثم يسلطهم على الأعداء الظاهرين النواصب، وعلى الأعداء الباطنين إبليس ومردته، حتى يهزموهم عن دين الله ويذودوهم عن أولياء آل رسول الله صلى الله عليه وآله، حوَّل الله تعالى تلك المسكنة إلى شياطينهم فأعجزهم عن إضلالهم، قضى الله تعالى بذلك قضاءً حقا على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله**».

أقول: فما بال الأستاذ حب الله يريد أن يزيد في مسكنة ضعفاء الشيعة، ويعين عدوَّهم عليهم، بدل أن يقويَّهم بفقه وعلوم آل محمد

ﷺ التي تعلمها في الحوزة، فيزيل مسكنتهم، فإن هو فعل ذلك شمله ضمان الله عزَّ وجل بأن يُحوِّل هذه المسكنة إلى شياطين الإنس مَن المضلين ويُعجزَهم عن إضلال هؤلاء الشيعة المساكين.

وخلاصة الكلام: أين هو الشيخ حيدر حب الله من روايات أئمة العترة الطاهرة؟!

فهل كان مطَّلعاً عليها حينما كتب ما كتب؟!

أم أنه أطلق العنان فيما كتبه لخيال فكره، وهوى نفسه ووساوس صدره، من دون أن يستند في ذلك إلى آية أو رواية؟!

فهلّا شمَّر ـ وهو الذي يريد تحسين نوعية الإيمان لدى الشيعة ـ عن ساعد الجد والنشاط، وكان مصداقاً لهذه الروايات المبيِّنة بشكل واضح وصريح لوظيفة العلماء في زمن غيبة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف!

وهلّا أنشأ مجلة (نصوص مناصرة) للدين والمذهب، بدلاً من (نصوص معاصرة) تعصر الدين وتفري أوداج المذهب، ولا تزيد ضعفاء الشيعة إلا تيهاً وحيرة!

اللهم إنا نشكو إليك فقد نبيِّنا ﷺ، وغيبة وليِّنا عليه السلام، وكثرة عدوِّنا، وقلَّة عددنا، وشدَّة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا، فصلِّ على محمد وآله وأعنّا على ذلك بفتح منك تعجِّله، وبضُرٍّ تكشفه، ونصر تُعزُّه، وسُلطانَ حقٍّ تُظهره، ورحمة منك تجلِّلناه، وعافية منك تُلبِسَناها، برحمتك يا أرحم الراحمين ..

٦ـ إتاحة سبل الفساد وظيفة من؟

قال الكاتب: (**ألم يكن الإنسان أفضل من الملائكة ـ كما يقولون ـ بالاختيار وانتقاء الصراط المستقيم من بين طرق الفساد التي كان بإمكانه سلوكها؟!**).

أقول: لماذا ترك الكاتب كل تلك الآيات والروايات المبيِّنة لوظيفة العالم وأراد أن يقوم بما هي وظيفة إبليس ـ لعنه الله ـ حيث قال: ﴿**لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾؟! فإن الإنسان وإن يبلغ كماله باختيار الصراط المستقَيم من بين طَرق الفساد التي كان بإمكانه سلوكها، إلا أن هذا لا يُبرِّر لأحد القيام بنشرَ وبثّ الأفكار الإلحادية في المجتمع الإيماني، وإتاحة سبل الفساد للمؤمنين؟!

فإبليس وإن ساهم بإتاحته سُبل الفساد والانحراف الفكري والسلوكي لبني البشر في صيرورتهم أفضل من الملائكة، إلا أنه هو نفسه صار بفعله هذا شيطاناً رجيماً، وكل من يسير على نهج إبليس هذا فإنه سيكون من (**إخوان الشياطين**) وسيكون مصيره كمصير إبليس اللعين.

٧ـ الكاتب يريد نشر البضائع كافة!

قال الكاتب: (**كلي اعتقاد بأننا بحاجة ـ مع كامل الأسف ـ إلى وقت طويل على ما يبدو لكي نفهم أن عرض البضائع كافة هو الذي يخدم الحقيقة**).

أقول: من حقنا أن نسال الأستاذ حيدر حب الله كيف تأتى له أن

يفهم في مدة يسيرة قضاها في الحوزة ما لم يستطع أن يفهمه أعلام المذهب عبر قرون وقرون.

ولكن الأمر تعدى أعلام الدين وأنبياء الله تعالى والمرسلين، فإن الله تعالى نفسه الذي أوجب على عباده مقارعة الباطل ومحاربته، لم يهتد بحسب زعم النابغة حب الله إلى أن إفساح المجال أمام الباطل، وأن عرضَ البضائع كافة التي منها البضائع الزايفة والسلع الباطلة يخدم الحقيقة.

اللهم إلا أن يكون في نسخة كتاب الله تعالى المأمونة عن التحريف تحريف، وأن الله تعالى ـ في النسخة الصحيحة التي لم يظفر بها إلا فريد الدهر حيدر حب الله ـ كان قد أمر رسله وأنبياءه بالترويج لكافة البضائع وببذل الجهد في تعريفهم الناس لجميع الأفكار بما فيه الأفكار الإلحادية.

ومع ذلك فتباً لجميع العقلاء، وأي عقل عندهم وأية رؤية لديهم، وهم على مر الدهور وكر العصور يحاربون الأفكار المنحرفة، كلٌّ منهم بحسب ما يُشخِّصه ويراه فكراً منحرفاً وطرحاً باطلاً.

ونعود للأستاذ حب الله ومن حقنا أن نسأله: أنه هل لأحد ما ـ وعلى القاعدة التي سنَّها حب الله نفسه من أن (نشر البضائع كافةً هو الذي يخدم الحقيقة) ـ أن يقوم مستقبلاً بفتح بيوت للدعارة في المجتمع الإيماني وبترويج المخدرات فيه و.. و..، من أجل أن يتوصل إلى مؤمنين نخبويين، يقومون بترك الفاحشة بطريقة واعية من خلال اعتيادهم على مشاهدة مظاهر التنوع السلوكي، وإن أدى ذلك إلى وقوع الأكثرية من شبابنا المؤمن في الزنا والإدمان و.. و..؟!!

أم أن حب الله لا يرتضي ذلك في بضائع الانحراف السلوكي وإن ارتضاه في البضائع الفكرية، لأن مظاهر التنوع الفكري التي تشتمل على الباطل والفكر الإلحادي التي يريد أن ينشرها في المجتمع الإيماني هي بنظره الثاقب أقل خطراً وضرراً على أبناء هذا المجتمع من مظاهر التنوع السلوكي؟!

٨ـ هل أحيي فكر نيتشه من جديد؟!

قال الكاتب: (**إن بعض مشاريع نقل المشهد الثقافي الإيراني تعرَّض أصحابُها لظلم وإجحاف ليس لأنّهم حصروا نقلهم للمشهد بتيار دون آخر، بل لأنّهمْ أشركوا التيارات الفكرية كافّة، فبدل أن يشكروا على جهدهم الطيّب هذا لم يلاقوا سوى اللوم والعتاب ..**)[١].

أقول: بما أن الكاتب صرَّح بأنه يريد إشراك التيارات الفكرية كافة ـ بما فيها الضالة والإلحادية ـ في نقله للمشهد، فكأنه يقول لنا سلفاً أن ما أستحقه منكم على جهدي هذا هو الشكر والثناء لا اللوم والعتاب اللذان جوبهت بهما المشاريع السابقة لنقل هذا المشهد بجميع أجزائه، فإن هذا ظلم لأصحاب هذه المشاريع وإجحاف بحقِّهم.

فسبحان الله!! أية عدالة هذه التي يؤمن بها الكاتب؟! فهو يريد أن ينشر الفكر كلَّه بما فيه الشبهات والضلالات والانحرافات والأفكار

---

(١) راجع ص ٣٩.

الإلحادية، غير مبال بالخسارات الكمية المتمثلة بضلال الشريحة العظمى من المؤمنين بسببً ذلك، ثم يرى بأن توجيه اللوم والعتاب إليه ظلم وإجحاف!!

فإن هذه العدالة كتلك التي يؤمن بها فيلسوف القوة (نيتشه)، حيث إنه لا يرى فقط أن الأقوياء من حقهم أن يقضوا على الضعفاء، بل يرى أنه على الضعفاء أن يكونوا شاكرين للأقوياء على قتلهم لهم وإراحتهم من الوجود!! نعم، هذه هي عدالة نيتشه، تلك العدالة التي تطلب من الضحية أن تشكر قاتليها!!

بل لو كان الكاتب يريد أن يقوم بقتل الشريحة العظمى من المؤمنين وتصفيتهم جسدياً لأمكننا أن نقول له بأن هؤلاء وإن لم يشكروه في الدنيا، إلا أنهم سيكونون شاكرين له في الآخرة، إذ بفعله هذا يجعَلُهم يلقَون ربَّهم مظلومين مما يزيد من فرص نجاتهم، وإن كان هو بفعله هذا يستوجب العقاب والخلود في النار.

ولكن الكاتب يريد إضلال المؤمنين وقتلَهم ذاك القتل الذي لا يحيون بعده أبداً، فنقول له: هؤلاء لئن أمكنك أن تخدعهم وتجعلهم شاكرين لك في الدنيا، فإن القرآن يحدِّثنا عما سيكون موقفهم تجاهك في الآخرة، حيث يقول: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾، ويقول:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾.

٩ـ رسالة الكاتب توحيد المسلمين؟

قال الكاتب: (ليس هدفها ـ المجلة ـ الترويج لهذا الفكر أو ذاك، وإنما نقل المشهد إلى العالم العربي، خدمةً قبل كل شيء للأمّة كلّها، وأملاً في أن تساعد هذه الخطوة على توحيد صفوف الأمّة، ومعرفة بعضها بعضاً، فإن التقارب الإيراني العربي ـ سيما الإيراني السعودي، والإيراني المصري ـ كفيل ليس فقط في تضامن المسلمين، بل وفي تذويب الفتن الطائفية والأحقاد المذهبية التي تأكلهم)(١).

أقول: لا شك أن تحقيق الوحدة بين المسلمين، وتوحيد صفوفهم أمام العدو المشترك الذي يتربَّص بهم الدوائر أمر مطلوب وهدف نبيل يسعى إليه كل مخلص لهذا الدين، ولكن الكلام كل الكلام في سبيل الكاتب إلى تحقيق ذلك.

فهل إن نقل مشهد يتضمَّن:

ـ القول بأن أمير المؤمنين عليه السلام ليس بقدوة في بعض المجالات.

---

(١) راجع ص ٤٢.

ـ والتشكيك في البديهيات الفقهية الواضحة للمذهب الشيعي، بل إنكار جملة منها، بل نقد الأصول الفكرية لهذا المذهب.

ـ والدعوة إلى اعتماد آليات في الفكر لا تنتمي إلى الموروث المعمول به في الحوزات الشيعية، وإلى التأسيس لمنهج فقهي يعتمد على القرآن، ولا يقوم إلى حد ما على أخبار العترة الطاهرة.

ـ والقول بالتعددية الدينية، ومعذورية أهل جميع الأديان، بل وجميع المذاهب داخل الدين الواحد.

ـ والترويج لفكرٍ حَكم عليه فقهاء ومراجع المذهب الحق بالضلال والانحراف.

ـ واحترام الأساتذة المرتدين عن المذهب والخارجين عنه بل الخارجين عليه.

ـ والتفسيق لعلماء ومراجع الشيعة واتِّهامهم بالتعصُّب والظلم لمن يتعصَّبون عليه إلى حد تكفيره.

إلى غير ذلك من الأمور التي مرَّت أو ستأتي.

هل هذا المشهد هو الرسالة الإلهية التي أراد الكاتب تبليغها حيث استشهد في ختام مقالته بقوله تعالى: **﴿الَّذينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّه وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾**.

وهل نقل مثل هكذا مشهد هو السبيل الذي يريد الكاتب من خلاله توحيد صفوف الأمة، وتذويب الفتن الطائفية والأحقاد المذهبية التي تأكلها؟!

٤ ـ نظرة الكاتب إلى العلماء ومراجع التقليد

١ ـ مراجع الشيعة تدفعهم العصبية إلى تكفير من يخالفهم في الرأي!

قال الكاتب: (يُفترض أن تكون صدورنا أكبر من ذلك، وألا يحكمنا الانفعال من قراءة فكر الآخر .. إن بعض علماء الدين أو حتى المرجعيات الدينية تسارع إلى اتهام منتقديها بالكفر أو الضلال أو العمالة أو .. وكأن هذه المقولات تمثّل لديهم سياجاً يمنع عن نقدهم ويحميهم من سياط المساءلة)[١].

أقول: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾، فما لم يُقم الكاتب دليلاً قطعياً على دعواه هذه فإنها محض كذب وبهتان وافتراء على علماء الشيعة ومراجعهم، ونحن نتحداه أن يُسمي لنا واحداً من مراجع الشيعة يعمَد إلى تكفير شخص لا حُجَّة له على كفره، ولا يدعوه إلى تكفيره سوى الانفعال وأنه يريد أن يدفع عن نفسه انتقاداته وأسئلته.

أولم يعرف حيدر حب الله أن ما افتراه هو رمي لعلماء الشيعة ومراجعهم بالكفر، فهذا إمامنا الباقر عليه السلام يقول: «ما شهد رجل على

---

(١) راجع ص ٤١.

رجل بكفر قط إلا باء به أحدهما، إن كان شهد به على كافر صدَق، وإن كان مؤمناً رجَع الكفر عليه، فإياكم والطعن على المؤمنين»[١]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

ولماذا لا يكون هذا الطعن منه على فقهاء ومراجع الشيعة بلا أي حجة أو دليل ليدفع عن نفسه سياط النقد والمساءلة؟!!

وعلى كل حال فالذي ينعي على غيره الهروب من سياط النقد والمساءلة لا شك أنه يتقبَّلهما بكل صدر رحب، وها أنا ذا ـ أقل طلاب العلم في الحوزة الدينية ـ أدعوه إلى جلسة مساءلة بحضور جملة من فضلاء هذه الحوزة، حتى يُقدِّم لنا توضيحاته حول هذه العبارة ونظائرها الكثيرة التي ملأ بها مقالته، ولا يتهمنا فيما بعد بأننا بادرنا إلى اتّخاذ المواقف القاسية تجاهه ـ على حد تعبيره ـ من دون أن نعطيه فرَصة الدفاع عن النفس.

٢ ـ مراجع الشيعة ظالمون!

قال الكاتب: (**لقد كان ظلماً أن يكفِّر شريعتي أو يُضلل لاختلافه في بعض وجهات النظر مع المدرسة الدينية الرسمية**)[٢].

أقول: نحن وإن كنا نعتقد أن ما أفتى به المراجع العظام من ضلال

---

(١) الكافي ٢: ٣٦٠.

(٢) راجع ص ٣٩.

وانحراف شريعتي أشد وأعظم من الإفتاء بكفره، إذ العالَم مليء بالكفار والملحدين إلا أنهم لا يشكلون خطراً على عقائد المؤمنين بقدر من يعيش معهم ويدعي أنه منهم ويلبس الباطل ثوب الحق ويُفسد عقائدهم، إلا أنا لم نجد ـ بحسب تتبعنا ـ أحداً من أفراد المدرسة الدينية الرسمية ـ على حد تعبيره ـ قد صرَّح بكفر شريعتي، فحبذا لو أن الأستاذ حب الله يذكر لنا أسماء بعض من كان تكفيرهم لشريعتي ظلماً له.

وعلى أي حال فإن أبرز مصداق لهؤلاء الظلمة بنظر الكاتب هم مراجع التقليد وأساتذة ومجتهدي الحوزة العلمية وفي مقدمتهم السيد الخميني قدس سره، حيث إنه لم يبادر غيرهم إلى الحكم بضلال شريعتي وانحرافه.

ولئن أمكنه الحكم على جُل مراجع التقليد لدى الشيعة في عصرنا ومنهم السيد الخوئي والسيد الخميني والسيد المرعشي وغيرهم بالظلم لإنسان بريء كشريعتي!! فممَّن يتوخى حيدر حب الله العدل بعد ذلك يا ترى؟!!

على أنه إذا كان اختلاف شريعتي مع هؤلاء العظام في جملة من أصول الدين وضروريات المذهب، وطعنه في جملة من أساطينه ـ كالخواجه نصير الدين والمجلسي والكركي والبهائي، والميلاني وغيرهم ـ يُعد اختلافاً في وجهات النظر ولا ينبغي أن يُفسد ذلك في الود قضية برأي الكاتب، أفَلا يكون اختلاف الكاتب مع هؤلاء العظام في مسألة ضلال شريعتي أولى بأن يُعدَّ اختلافاً في وجهات النظر؟!

وعليه، أفلا يكون من الظلم تفسيق حيدر حب الله لكل هؤلاء العظام ـ حيث رماهم جميعاً بالظلم، ولم يقل أن موقفهم هذا كان خطأ أو اشتباهاً منهم ـ لمجرد اختلافه معهم في وجهة نظر حول شريعتي؟!

على أن تفسيقه لكل هؤلاء العلماء ألا يُعد من المواقف القاسية التي لم يفتأ في مقالته هذه ينعي على المدرسة الدينية الرسمية ـ على حد تعبيره ـ اتّخاذها لها؟!

ثم إننا لم نفهم ما المعني بـ (**المدرسة الدينية الرسمية**) في عبارته، فهل هي مدرسة جعفر بن محمد الصادق عليه السلام التي خالف شريعتي جملة من أصولها وضرورياتها؟!! أم مدرسة مراجع الشيعة وعلمائهم التابعين لصادق آل محمد صلى الله عليه وآله الذين حكموا بضلال شريعتي؟!!

اللهم إلا أن يكون حيدر حب الله ممن يعتقد بأن اتفاق جماعة مراجع الشيعة وعلمائهم في عصر من العصور يمكن أن يكون مغايراً لما هو مقرر في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام سيما في أمثال الأمور التي تكلَّم فيها شريعتي والتي ترتبط بصميم العقيدة؟!!

وإذا لم يكن الحق وفق ما يجتمع عليه علماء ومراجع الشيعة في كل عصر، فأين يكون الحق عند حيدر حب الله، ومع من؟!!

أيكون الحق مع جملة من المراهقين المدَّعين، أم مع فئة المبتدعين المنحرفين، أم مع فرقة النواصب الملعونين، أم مصاحباً لأهل الكفر والمشركين؟!

اللهم إلا أن يكون الحق عند النابغة حب الله أمراً نسبياً، وشيئاً مركباً،

فعند جماعة النواصب حظ منه، وعند المشركين والكفار نصيب آخر، وعند المنحرفين والمرتدين مقدار يسير.

ولكن أن يكون الحق مع مراجع وعلماء ومحققي الشيعة لا سيما مع اتفاقهم، فإن هذا ما لا يمكن أن يقبله حيدر حب الله، ولو أنه كان يحتمل وجود الحق معهم لما نسب مراجع الشيعة إلى الظلم، فإن الظالمين لا يكونون على حق، ولكننا لن نسكت وبالتالي فلا نسمح لمثل هذا المدعي المغرور أن يفتري على مراجع الشيعة ما افتراه عليهم ظلماً وعدواناً، ومن ينسب الظلم لجماعة المراجع عن قصد وإصرار، لهو الظالم بل أعظم وأخطر.

٣ـ تيار الثورة ظالم أيضاً!

قال الكاتب: (**كان ظلماً أن يُغيَّب فكر مهدي بازركان لأجل الخلاف السياسي معه**).

أقول: قبل صفحة ذكر: (**أن تغييب فكر مهدي بزركان وصادق هدايت وحيد عنايت لصالح جوادي آملي، ومصباح يزدي، ومحمد حسين طباطبائي ـ صاحب الميزان ـ كان مبرَّراً في تلك الحقبة، لأنه كان مبنياً على القراءة المعمَّقة التي قدمها الإمام الخميني للإسلام والتي قلبت كل الموازين**)، فكيف عاد وصار ظلماً؟!

على أن الخلاف السياسي من قبل الثورة ورموزها ـ وعلى رأسهم الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه ـ مع مهدي بزركان وأمثاله كان ناشئاً عن الخلاف

الديني الفكري الأيديولوجي معهم.

فمن باب المثال هل بمقدورنا أن نقول بأن خلاف الإمام الخميني قدس سره مع مهدي بزركان وبعض الرموز السياسيين في الدولة في مسألة ضرورة إقامة الحدود في ظل الحكومة المُزمع إنشاؤها كان خلافاً سياسياً؟! أوليست البنية الأيديولوجية التي يستند إليها مثل هكذا طرح ـ تعطيل الحدود ـ هي أنه لا يرى لتعاليم القرآن الكريم وروايات العترة الطاهرة أهليةً للمرجعية في تحديد المعالم الأساسية للحكم وإدارة الدولة، ولذلك طالبوا باعتماد الأحكام الوضعية المعمول بها في الغرب؟! ومن لا يرى للقرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام مثل هكذا مرجعية، فكيف يمكن أن يعمل تحت ظل نظرية حكومة الولي الفقيه الجامع للشرائط؟!

٥ ـ عودة إلى ورقة العمل

قال الكاتب: **(إذا كانت الورقة توحي أنها خاصة بالمشهد الشيعي فهي لا تريد هذه الخصوصية، وإنما تطمح لدائرة أوسع، والسبب في الخصوصية الشيعية أنها تريد أن تنطلق من الدوائر الضيِّقة بعيداً عن الانفلاش، فإذا نجحت كان بالإمكان توسيع الدائرة، أو تلاقي الدوائر)**[١].

أقول: لقد استفاد من التمثيل الدائري للمجموعات والعلائق الموجودة بينها (inclusion توسع إحدى الدائرتين لتشمل الأخرى، intersection تلاقي الدوائر) من أجل رسم تمثيل بياني لمستقبل حركته التغييرية، وها نحن نترجم ذلك للقارئ الكريم بلغة أكثر وضوحاً فنقول:

إن الحركة التغييرية للكاتب لا تقتصر على الواقع الديني الشيعي فحسب، وإنما يريد أن يجعل الساحة الشيعية منطلقاً لعمله التغييري، فإذا كتب له النجاح ـ لا سمح الله ـ في هذه الدائرة الضيقة يوسع حينئذ دائرة

---

(١) راجع ص ٤٧.

عمله حتى يطال الساحة السنية ويقوم بتغيير الواقع الديني الموجود فيها (توسيع الدائرة)، أو لا أقل يشترك هو والتغييريون السنة في تغيير أمور يتفق كلا الفريقين على ضرورة تغييرها (تلاقي الدوائر).

ونحن نتساءل:

١ـ لماذا البدء بالساحة الشيعية أولاً؟

إذا كانت حركته التغييرية هذه ليست على مستوى المذهب الشيعي فحسب، بل على مستوى الدين الإسلامي ككل، فلماذا البدء بالساحة الشيعية أولاً؟

هل لأن الدائرة الشيعية هي الأضيق على حد تعبيره؟

أم حتى يعطي بذلك القدوة والأنموذج لإخوانه السنة فيفسحوا له المجال فيما بعد أن يُسهم بتغيير دينهم ومذهبهم، أو لا أقل يقومون هم بذلك، فيتحقق بذلك للكاتب غايته المنشودة في تذويب الفتن الطائفية والأحقاد المذهبية بين المسلمين؟

فإن اختار الإجابة الأولى: فلنا أن نسأله ما المراد بكون الساحة الشيعية هي الدائرة الضيقة؟ فهل هذا يعني أن الشيعة هم الفرقة الأكثر تعصباً والأضيق أفقاً من بين الفرق الإسلامية، فإذا أمكن تغيير واقعهم الديني فإن هذا يُبشّر بإمكانية تحقيق ذلك في الأوساط الإسلامية الأخرى الأقل تعصباً والأوسع أفقا؟!

أم أن الملحوظ فقط كون الشيعة أقل عدداً من بين الفرق والمذاهب

الإسلامية الأخرى؟

ولكن مذهب الشيعة ليس كذلك، فإنه مقارنة مع باقي المذاهب يفوق عدد أبنائه عدد أبناء أي مذهب آخر بنسبة عالية، اللهم إلا أن يكون الحنابلة والحنفية والمالكية والشافعية بنظر الكاتب مذهباً واحداً، مع أن الاختلافات بينهم تكاد لا تقاس فيما اختلفوا فيه معنا بالخصوص.

ولو فرضنا صحَّة هذه المقولة ـ كون الشيعة أقل الفرق عدداً ـ فلنا أن نتساءل حينها أنه ما هي أهمية العامل الكمي فقط عندما يكون الحديث عن "تغيير نمطية العقل وإعادة صنع العقول من جديد"، لا عن بناء مساكن شعبية أو توفير حصص تموينية؟!

وإن اختار الثانية: فنقول له: ألم تكف تجربة التحكيم التي فُرضت على أمير المؤمنين عليه السلام في صفين حتى تعطَي درساً لجميع العقلاء ببطلان النظرية التغييرية الأشعرية، وأنه إذا كان لا بدَّ من تغيير أو تنازل مشترك فليكن الطرف المقابل هو الذي يبدأ أولاً؟ ومن أين جاءته هذه الثقة المفرطة بإخوانه السنة بحيث رضي بهم كشركاء في حركته التغييرية ولو في مراحلها المستقبلية، وأقصى الشريحة العظمى ـ باعترافه ـ من أبناء جلدته ومذهبه بشحطة قلم منه قائلاً: (**تحكمه عقلية حزبية أو أفق ضيق**)؟!

ألا تُشعرنا هذه الطريقة في العمل بإعادة إحياء الفكر الأشعري الذي لا يريد مَن خلال جعل منطلقَ عمله التغييري المجتمعَ الإيماني سوى الخديعة للمؤمنين، من أجل إضعافهم وإزالتهم عما هم عليه من الحق وتكريس الباطل وتثبيته؟!

٢ـ من هم الشركاء المستقبليون؟

قال الكاتب: (**الورقة غير خاصة بالمؤسسات الدينية، بل توجه خطابها إلى شرائح المجتمع بأقطابه: رجال الدين، المثقفين، رجال النفوذ الاجتماعي، ورجال المال ..**)[1].

أقول: إذا ضممنا هذه النقطة إلى ما ذكره من عدم اقتصار حركته على الساحة الشيعة وامتدادها لتطال الساحة السنية مستقبلاً، ألا يكون بوسعنا أن نستنتج أنه من الممكن جداً أن يكون الشركاء المستقبليون لكاتب هذه الورقة في حركته التغييرية هم بعض رجال الدين والسياسة وأصحاب رؤوس الأموال في السعودية وغيرها من دول العالم السني ممن يهدفون إلى تغيير الواقع الديني عند الشيعة؟!

٣ـ تغيير أم تدمير؟!

وقال: (**ثمة تيار ثالث يتمثل في عناصر ممزقة متفرقة مشتتة لا يجمعها سوى اللقاء الفكري تدعو للتغيير المجتمعي والنهوض بالحياة الشيعية نحو الأفضل**)[2].

أقول: قوله بأن تياره الثالث هذا (**يتمثل في عناصر ممزقة متفرقة**

---

(١) راجع ص ٤٧.
(٢) راجع ص ٤٨.

مشتتة لا يجمعها سوى اللقاء الفكري تدعو للتغيير المجتمعي) لا شك أنه لا يقصد من **(اللقاء الفكري)** أن هذه الأفراد تجمعها أيديولوجية ومنظومة فكرية واحدة، بل لا يجمعها سوى فكرة واحدة وهي إرادة **(تغيير نمطية العقل الديني في الوسط الشيعي)** وإن اختلفت الأيديولوجيات والنظم الفكرية التي تنتمي إليها، ويوضح ذلك قوله الآتي: **(والمهم بالنسبة إلينا ـ في ورقتنا هذه ـ هو التغييري الديني مهما كان انتماؤه الفكري)**.

ولا يكاد يخفى على ذي فطنة ما في هذا الطرح من خطورة، فهل يكفيه إرادةُ أصحاب الأيديولوجيات المخالفة للمدرسة الدينية الرسمية (الحوزة) ـ على حد تعبيره ـ تغيير الواقع الديني لدى الشيعة ليكونوا شركاءه في مشروعه التغييري، علماً أن كثيرا من هؤلاء قد ينتمون إلى منظومات وأطر فكرية مناهضة للدين والحوزة؟ سيما مع عدم قصره خطابه على رجال الدين وتعميمه له ليشمل رجال المال والنفوذ الاجتماعي والإعلام والأدب والفن! بل ليشمل غير الشيعة على المدى البعيد! فهل يصح ائتمان أمثال هؤلاء على دين الله حتى يكونوا شركاء في إصلاحه؟!

هذا مع أنه من الواضح أن الإنسان ـ أي إنسان ـ لا يمكن أن يشترك مع من يباينه في الأيديولوجية والانتماء الفكري في تشييد مشروع فكري ثقافي، نعم من الممكن أن يشترك معه في هدم وتحطيم بناء فكري موجود لا قناعة لكليهما به، وأما مرحلة التشييد والبناء فإنها تحتاج إلى أشخاص يحملون أيديولوجية ورؤى فكرية وثقافية موحَّدة.

وعليه فلنا أن نسأله بأن ورقة عمله هل هي ورقة عمل تغييرية كما يدَّعي، أم أنها ورقة عمل تدميرية كما يتراءى منها؟!!

٤- لا لوصاية الفقهاء!

قال الكاتب: (**ثمة تيار ثالث يتمثل في عناصر ممزقة متفرّقة مشتتة .. لا يجمعها سوى اللقاء الفكري، تدعو للتغيير المجتمعي والنهوض بالحياة الشيعية نحو الأفضل دعوتنا هنا هي: أين أنتم أيها الناقدون لمحيطكم؟ .. دعونا نتلاقى .. نعصف أفكارنا للوصول إلى تكوين خطاب هادر .. يتحوّل بالفعل إلى تيار ثالث، لا تحكمه عقلية حزبية أو أفق ضيّق .. وإذا أرادت الحركة التغييرية أن تعيد صنع العقول وتكوين الرأي العام، فيجب أن تخرج عن منطق الوصاية والتلقين**).

أقول: أما (النهوض بالحياة الشيعية نحو الأفضل) فهدف سام يسعى إليه كل شخص مخلص في انتمائه إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، ولكن لا يخفى على أمثال الكاتب أنه إذا كان سبب الهبوط في الحياة الشيعية هو عدم الوعي التام والصحيح للدين عند عامة الشيعة، أو الخطأ في الممارسة والتطبيق، فإن هذا لا يستدعي سوى التشمير عن ساعد الجد، والنزول إلى سوح العمل والتبليغ الديني لتعريف الشيعة بدينهم ومذهبهم أكثر فأكثر، والقيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إلا أن المشكلة بنظره أعظم من ذلك، فإن المشكلة تكمن عنده في

نمطية التفكير التي حكمت الوسط الشيعي على مدى أزيد من ألف سنة، وعندما نقول الوسط الشيعي لا نعني بذلك عوام الشيعة بل مراجعهم وعلماءهم الذين حصرهم كاتبنا المنصف جميعاً في زاوية (**الأفق الضيق، والرتابة والخطاب الإيقاعي المكرور دينياً و..**) في ورقته هذه، وفي زاوية (**الأداء الإقصائي، والمواقف القاسية، وضيق الصدر والعصبية، والتكفير، و..**)، في مقالته الآنفة الذكر، ولذلك فإن حركته التغييرية أرادت (**الخروج عن منطق الوصاية والتلقين**) الذي يمارسه هؤلاء (**لتعيد صناعة العقول وتكوين الرأي العام**) من جديد.

ولكن أوليس الإمام الحجة عجّل الله فرجه الشريف هو الذي أعطى فقهاء الشيعة ومراجعهم هذه الوصاية بقوله: «**فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله**»، وقوله: «**والراد عليه كالراد علينا، والراد علينا كالراد على الله وهو على حد الشرك بالله**»؟!

اللهم إلا أن يُناقش الكاتب في ثبوت مثل هكذا وصاية للإمام الحجة نفسه؟!! في حين أنها مما اتفق على ثبوتها كل علماء ومحققي المذهب الحق.

٥ـ الكاتب يريد تتميم الدين لا الإتيان بدين جديد!

قال الكاتب: (**التغيير لا يعني قلب الصورة بنسف ما مضى بل إن المراكمة عليها وإضافة أجزاء ناقصة يمكنه أن يحقق مطلباً كبيراً**)[١].

---

(١) راجع ص ٤٨.

أقول: قد عرفت أن حركته التغييرية تقوم على نسف ما مضى برمَّته، فتفتح باب الاجتهاد في الضروريات، وتسعى لنقد الأصول الفكرية للمذهب، وترويج الباطل والفكر الضال المنحرف بين المؤمنين، وتقويض الدعامة الأساسية لحفظ المذهب في زمن الغيبة، وهي الحوزة العلمية المتمثلة بمراجع الدين وفقهاء الطائفة، حيث رماهم بضيق الأفق، والظلم للأبرياء، والتعصب ضد من يُخالفهم في الرأي إلى حد تكفيره، متذرعين في كل ذلك بالغيرة على الدين.

ولكننا سنغضُّ النظر عن ذلك، ونجاري الكاتب في دعواه فنقول له: حبذا لو أنه بيَّن لنا بعض النواقص في مذهب أهل البيت عليهم السلام، ومن أين تطرَّق النقص إلى المذهب الحق؟

فهل أنزل الله دينا ناقصاً فاستعان بحيدر حب الله على إتمامه؟!

أم أنزل الله سبحانه دينا تاماً فقصَّر الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام في تبليغه وأدائه إلينا؟!

أم أنهم عليهم السلام وفَوا لله تعالى بما شرطه عليهم من التفاني في تبليغ الدين ونشر أحكامه، إلا أن أصحابهم قصروا في نقل رواياتهم وأحاديثهم عليهم السلام إلينا؟!

أو أن الأصحاب نقلوها ولكن علماء الرعيل الأول ومن بعده لم يهتموا بضبطها وتدوينها وتبويبها واستخراج كنوزها ولآلئها على مدى أزيد من ألف سنة، إلى أن منَّ الله تعالى على هذه الفرقة المرحومة بالنابغة حيدر حب الله حتى يُتم لها دينها ومذهبها؟!

هذا مع أن الله تعالى يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، و﴿فيه تبيانُ كُلِّ شَيءٍ﴾، و﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً﴾، فقد كَمُل الدين وتمت النعمة بمحمد وآل محمد عليهم السلام، وأما الأصحاب فما وصلت الأحاديث التي بأيدينا إلينا إلا بعد أن سهرت عيونهم في تصحيحها وذابت أبدانهم في تنقيحها، وقطعوا في تحصيلها من معادنها البلدان، وهجروا في تنقيتها الأولاد والنسوان، وأما علماؤنا رضي الله عنهم فهم فدائيوا الإسلام الأوائل الذين حملوا الدين إلينا وذبوا عن حريمه، حتى أوصلوه إلينا ممزوجاً بدمائهم الزكية الطاهرة.

وعلى كلٍّ فنحن نتحدّى الكاتب الألمعي وكل من نسج على منواله أن يأتينا بمسألة واحدة ـ ناقصة على حد تعبيره ـ لا نجد حكمها فيما بين أيدينا من روايات الأئمة الأطهار عليهم السلام، كيف وقد ألقوا عليهم السلام إلى شيعتهم الأصول الكفيلة بتعريفهم الوظيفة العملية الشرعية تجاه أي أمر محدث يواجههم بعد غيبة إمامهم عجل الله تعالى فرجه الشريف وإلى آخر الدهر، فعن أبي عبد الله عليه السلام قوله: «إنما علينا أن نلقي إليكم الأصول وعليكم أن تفرعوا»[1].

(١) السرائر ٢: ٢٤٥.



وفي الختام

أين الدين في عصرنا الحاضر؟

قال الكاتب: (أين أنتم أيها الناقدون لمحيطكم .. **دعونا نتلاقى .. للوصول إلى تكوين خطاب هادر .. يتحوَّل بالفعل إلى تيار ثالث .. يؤرِّقه السؤال التالي: أين هو الدين في عصرنا؟ ..).**

أقول: لقد جاء تساءل الكاتب هنا عن الدين أين هو في عصرنا منسجماً تمام الانسجام مع تساؤله في مقالته المشار إليها آنفاً بأنه: **(على أي أساس يوزن الهدى والضلال؟).**

وأنا أكتفي في مقام الإجابة عن كلا السؤالين بقول أبي عبد الله الحسين عليه السلام[1]، وأبي عبد الله الصادق عليه السلام[2]، وأبي الحسن الكاظم عليه السلام[3]: **«ما على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا، وسائر الناس منها**

---

(١) المحاسن ١: ١٤٧/ باب (ما على ملة إبراهيم غيركم)/ ح ٥٤ و ٥٥.

(٢) الكافي ٨: ٣٦.

(٣) الكافي ١: ٤٣٥.

برآء»، وقول أبي عبد الله الحسين عليه السلام: «**مستقى العلم من عندنا، أفعلموا وجهلنا!! هذا ما لا يكون**»[(١)]، وقول أبي جعفر الباقر عليه السلام لبعض أصحابه: «**شرقًا وغربًا لن تجدا علما صحيحا إلا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت**»[(٢)]، وقوله: «**فليذهب الناس حيث شاؤوا، فوالله ليس الأمر إلا من ههنا، وأشار بيده إلى بيته**»[(٣)]، وقوله: «**والله لا يؤخذ العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرائيل عليه السلام**»[(٤)]، وقوله: «**كل شيء لم يخرج من هذا البيت فهو وبال**»[(٥)]، وقول أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**أفيرون أنهم علموا واهتدوا وجهلنا نحن وضللنا؟! إن هذا لمحال**»[(٦)].

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة المتواترة عنهم عليهم السلام.

وليت شعري لو أن الكاتب ألقى نظرة على عناوين الأبواب التي تضمنت هذه الروايات في كتبنا المشهورة كالكافي والبصائر

---

(١) بصائر الدرجات: ٣١/ باب في أن أئمة آل محمد صلى الله عليه وآله مستقى العلم عندهم/ ح١.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٩/ باب ما أمر الناس بأن يطلبوا العلم من معدنه وأن معدنه آل محمد عليهم السلام/ ح٤، والكافي ١: ٣٩٩/ باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة عليهم السلام، وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل/ ح٣.

(٣) المصدر السابق من الكافي/ ح٢.

(٤) المصدر السابق من الكافي/ ح٥.

(٥) الاختصاص للشيخ المفيد قدس سره: ٣١.

(٦) بصائر الدرجات: ٣٢، والكافي ١: ٣٩٨.

والمحاسن، لعرف كيف أجاب علماؤنا الأبرار رضي الله عنهم منذ القدم عن سؤاله هذا، وإليك بعضاً من هذه العناوين:

ـ باب أن مستقى العلم من بيت آل محمد عليهم السلام.

ـ باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة عليهم السلام وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل.

ـ باب ما أمر الناس بأن يطلبوا العلم من معدنه ومعدنه آل محمد عليهم السلام.

ـ باب في أئمة آل محمد صلى الله عليه وآله مستقى العلم عندهم وأنهم علماء لا يظلمون ولا يجهلون.

ـ باب أنتم على دين الله.

ـ باب أنتم على الحق ومن خالفكم على الباطل.

ـ باب ما على ملة إبراهيم عليه السلام غيركم.

ـ باب أنتم على ديني ودين آبائي.

نعم، أهل البيت عليهم السلام هم ميزان الهدى والضلال، كيف لا وهم سفينة النجاة التي من ركبها هُدي ونجا ومن تخلَّف عنها ضل وهوى، فالدين هو ما قاله الباقر الصادق عليهما السلام و..، الدين في الكتب الأربعة وبقية كتب الصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي رضي الله عنهم وغيرها من كتب الشيعة المشهورة والمعتبرة، وكل فكرة تدَّعي لنفسها أنها بمقدورها أن تنتسب

لهذا الدين وهذا المذهب من دون أن تكون مستقاة ـ ولو بحسب جذورها وقواعدها العامة ـ من هناك فإنها وليدة غير شرعية ألقاها أبواها على باب هذا المذهب بغية إلصاقها به، ولن تجرَّ عليه سوى العار والوبال.

فإن كان للكاتب فهم خاص لهذه الروايات غير ما فهمه منها علماؤنا على مرِّ التاريخ، فحبَّذا لو أنه يذكره لنا حتى ننظر فيه.

وأخيراً فلا يسعنا إلا أن نعود فنذكِّر الأستاذ حيدر حب الله حيث قال الباقر عليه السلام مخاطباً له من خلال مخاطبته لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: «**شرقا وغربا فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت**»[1]، ومن خلال مخاطبته الحسن البصري حيث قال: «**فليذهب الحسن يمينا وشمالا فوالله ما يوجد العلم إلا ههنا**»[2]، وما أحسن التوبة بعد الذنب، وقد يفوت أوانها، والذنب وإن كان قبيحاً إلا أن التوبة النصوح تذهب بقبحه.

اللهم إننا كنا قد دعونا الكاتب الأستاذ حيدر حب الله إلى مناظرة ومناقشة بغية توضيح ما اشتبه عليه من الحق، وهدايته إلى أخبار وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، رأفةً به وبمن اغترَّ به، ولكنَّه اعتذر وتذرَّع، وأحجم ورفض، فرأينا أنه من اللازم علينا ـ امتثالاً للواجب الديني ـ نشرُ

---

(١) بصائر الدرجات ح٤ ص٣٠ ؛ الكافي ج١ ح٣ ص٣٩٩

(٢) بصائر الدرجات ح١ ص٢٩.

بعض ما سجَّلناه من تساؤلات وملاحظات على مشروعه التغييري، عسى أن يكون في ذلك رادعٌ له عن المضي فيه، ومنبِّهٌ لمن حولَه إلى مدى خطورة هذا المشروع وعظم ضرره على المذهب الحق والمنتمين إليه، والله تعالى وحده من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ظاهراً وباطناً وعلى المشككين المنحرفين.

قم المقدَّسة، بجوار سيدة عش آل محمد فاطمة بنت موسى بن جعفر عليها وعليهما السلام، رزقنا الله في الدنيا حسن جوارها وفي الآخرة شفاعتها.

حرَّره ليلة العاشر من ربيع الثاني، وجدَّد النظر فيه ليلة الخامس والعشرين من شوال ١٤٢٧ هـ أقل طلاب العلم

الشيخ محمد موسى حيدر العاملي

فهرس



انتشارت مدين

ايران _ قم _ شارع انقلاب _ بناية ميلاد _ رقم ٣٨٠

هاتف : ٧٧٢٢٦٠١

- أنفلوانزا التغيير
- الشيخ محمد موسى حيدر

- **الناشر : مدين (للطباعة و النشر)**
- **العدد : ١٠٠٠**
- **الطبعة : الأولى ١٤٢٧هـ _ ٢٠٠٧م**
- **المطبعة : وفا**
- **الزينكغراف : مدين ٧٧٢٢٦٠١**

شابك : ٦_٥٤_٨٩٠١_٩٦٤

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ

(الزمر: ١٨)